
د. عبد الله شحاته
حقوق الزوجين
وصحابيات
الرسول
صلى الله عليه وسلم

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

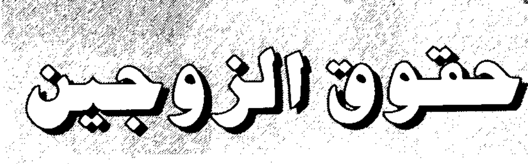
مطبوعات مايو

المدير العام :

علوى عامر

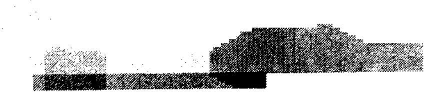
• دار مايو الوطنية للنشر •

١٦ شارع المنتزة - الزمالك - القاهرة
ت : ٣٤٠٩٩٠٠ / ٣٤٠٩٩٠٧ / ٣٤٠٩٩٠٩
ص . ب : ١٢٥ الجيزة Fax. : 3409046



حقوق الزوجين

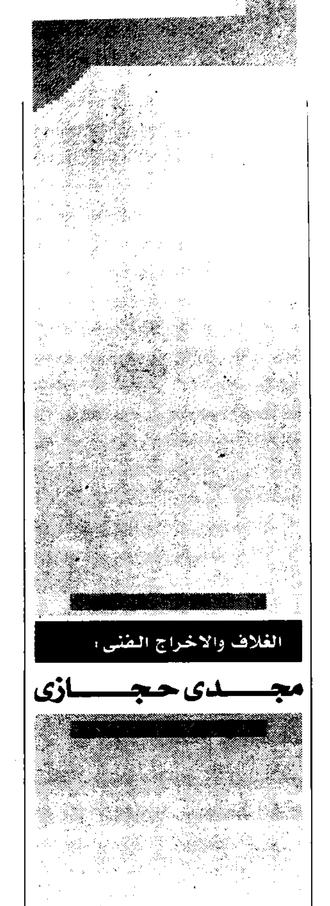
وصحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم



د . عبد الله شحاتة

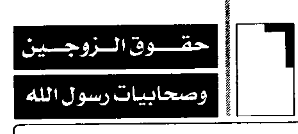
أستاذ الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة



الغلاف والاخراج الفنى :

مجـــدى حجـــازى


حقوق الزوجين
وصحابيات رسول الله


مقدمة

الحمـد لله رب العالمين ، وأشـهد ألا إله إلا الله وحـده لا شـريك له ، وأشـهد أن سـيـدنا محمداً ﷺ ، وعلي آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فقد تحدث القرآن الكريم عن النساء كما تحدث عن الرجال ، تحدّث عن حوّاء وعن آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وعن بلـقـيـس ملكة سـبـأ ، وعن أم مـوسى وعن هاجـر أم اسـماعـيل، وعن آسـية أمّ اسـحاق ، وعـن نساء مـؤمنات مجاهدات ، وعن نساء كافرات عاصيات .

ثم وضع الأساس العام ، فى أن كل فرد رجلاً كان أو امرأة سيجازى على عمله قال تعالى :

﴿ من عمل صـالحا من ذكـر أو أنثى وهو مؤمن فلنحـيينّه حيـاة طيبـة ولنجزينهم أجـرهم بأحسن مـا كانوا يعـملون ﴾ (النحل : ٩٧)

وقال سبحانه :

﴿ فاسـتجاب لهـم ربّهم أنى لا أضيع عمل عـامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض ﴾ (آل عمران : ١٩٥)

وهذا كتاب من بابين ،

الباب الأول :

تحدث عن الزواج ونظام الأسرة ، وذكر الخِطبة ، وأهم ما ينبغى أن يراعى فى اختيار الزوجة ،

ثم تحدث عن حقوق الزوجة ، وما يتعلق بذلك من المهر والنفقة .

ثم تحدث عن حقوق الزوج على زوجته ، ومنها الطاعة والقرار فى المنزل ، والحقوق المشتركة بين الزوجين ، ومنها حسن العشرة ، والتعاون فى رعاية النسل والذرية ، وثواب العناية بتربية البنات .

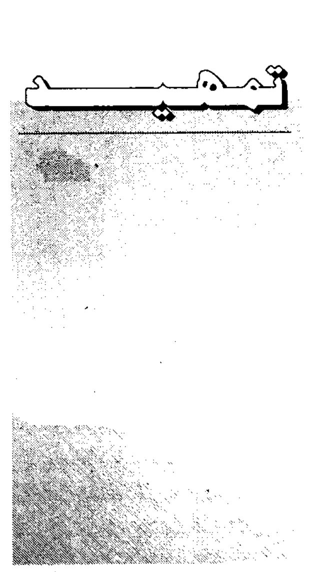
والباب الثانى :

تحدث عن صحابيات رسول الله ﷺ وترجم لاثنتين وثلاثين صحابية من الصحابيات ، وذكر سيرتهنّ وجهادهن وحياتهن فى المنزل ، وفى طلب العلم وفى الجهاد ومكارم الأخلاق ، فهنّ قدوة عملية ، وسيرة حسنة ، تكوِّن الأسوة والقدوة ، والمثل الأعلى قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (الأنعام : ٩٠) .

والله ولى التوفيق ..

د . عبد الله شحاتة

تمهيد



المرأة قبل الإسلام وبعده

تباينت آراء المؤرخيـن حول العصور التى سبـقت الإسلام ، فمنهم من يصورها عـصور جهل وانحطاط وظلم ، ولذلك دعيت بالجاهلية، ومنهم من يطلق عليها هذا الاسم لجهل العرب بالإسلام .

وكذلك قضـية المرأة ، ففريق يرفع منزلتـها فى نظر عرب الجـاهليـة ، والفـريق الآخـر ينكر ذلك ، ويظهـرها فى مظهـر الممتهن المسلوب الحقوق ، والحقيقة وسط بين الأمرين .

فمن النســاء من نالت منزلة ساميـة كخديجـة بنت خويلد ، وهند بنت عتبة بن ربيعة ، التى اشترطت على أبيها ألا يزوجها رجلا حتى يعرضه عليها ، وقد خطبـها رجلان فاختارت منهما أبا سفيان بن حرب .

كما أنه وجد من احتـقر المرأة ووصل به الأمر إلى وأدها ، ويمكننا القول بأن مركـز المرأة قبل الإسلام كان ضعـيفا من جهة ، وبارزا من جهة أخرى .

فالمعلقات التى تعـد من روائع الشعر العربى ، لا تخلو من الإشادة بالمرأة والغزل بها ، والمدح والفخر لإرضائها .

وتتمـيز المرأة الـجاهلية في الجـملة بخلال ثلاث : العـفة ، والفصاحة ، وحسن التربية لبنيها .

كراهيـة البنـات

تفيـد آيات القرآن ونصـوص الأحاديث والأخـبار وروايات الأدب العربى ، أن العـربى قبل الإسـلام كان صاحب المـركز الممـتاز فى الأسـرة والمجـتمع ، فهـو قوام الأسـرة وربها ، والمسـئول عن حياتهـا ورزقها ، وشئـونها وسلامتـها ، وهو الملكف بالحرب والمطالب بالثأر والمغرم ، وهو المخاطب فى المسئوليات والتبعات الإجتـماعية المتنوعة ، وكانت المرأة من حيث العموم تابعة للرجل ومنسوبة إليه ومسيرة بأمره ، وكان هو الذى يمثلها فى مصالحها الخاصة .

وفى القرآن آيات عـديدة ، تشير إلى ضعف مـركز المرأة ، وكراهية العربى لميلادها ، ونستوضح ذلك من الآيات التالية :

١ - ﴿ وإذا بشـر أحدهم بالأنثى ظـل وجهـه مسـوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما حكمون ﴾ (النحل : ٥٨ ، ٥٩)

٢ - ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، أو من ينشؤُا فـى الحيلة وهو فى الخصام غير مبين، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويُسألون ﴾ (الزخرف : ١٧ ـ ١٩).

٣ - ﴿ فـاسـتفـتـهم ألربك البنات ولهم الـبنون ، أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ﴾ (الصافات : ١٤٩ ، ١٥٠) .

٤ - ﴿ ألكم الذكـر وله الأنثى ، تلك إذن قسـمة ضـيرى ﴾ (النجم ٢١ ، ٢٢) ومـعنى ضيـزى ، جـائرة ، وفى الصحـاح (ضـاز) فى الحكم جار .

٥ - ﴿ وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ﴾
(التكوير ٨ ، ٩)

حق الميراث والتكسب

لم يكن حق المرأة فى الإرث معينا ثابتـا ، سواء أكانت أما ، أم أختا أم زوجة أم بنتا ، ولا حقـها فى الكسب والتصرف بما تملك مقررا ثابتا ، بل كان هذا وذاك مـتموجا حسب الظروف ، وكثيرا ما كانت تحرم منه .

وقد قرر الإسـلام للمرأة حق التملك والإرث وسـائر الحقوق المادية والمعنويـة ، ورد إليها اعتبـارها ، ونزلت سورة كاملة تسمــى سورة النساء ، وتـسمى أيضـا سورة النسـاء الـكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى « سورة الطلاق » .

وتحتـوى سورة النساء الكبـرى على ١٧٦ آية فيـها أحكام النساء وحـقوقهن وواجـباتهن وكثـير ممـا يتعلق بهن ، وورد مثل ذلك فى سورة الأحزاب وســورة النور وسورة المجادلة ، وسورة البقـرة ، وكثير من سور القـرآن الكريم ، وفضلا عن أنهـا تشـارك الرجل في جـمـيـع الأحكام والأوامـر والنواهى والوصايا والآداب التى جاءت فى الـقرآن الكريم ، فالأصل في كل خطاب خـوطب به الإنســان أو الرجل أو المــؤمنون أنه يتناول نظيـرة من الإناث وهناك خصـائص تميز بـها الرجل ، وخصــائص تميزت بها المـرأة ، رعاها الإسلام ، ونص عليـها القـرآن ، ولكن الأســاس الذى انبثـقت منه الأحكام هو وحـدة الأصل ووحـدة التـكليف ووحـدة الجــزاء . وفي أول ســورة النسـاء يقول الحق سبحانه :

﴿ يا أيهـا الناس اتقـوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجـالا كثيرا ونسـاء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكَم رقيبا ﴾ .

مــع الإســـلام

كرّم القرآن إنسانيــة الإنسان ، حيث وضح أن الله خلق آدم بيده ، ونفخ فيــه من روحه وأسجد له الملائكة ومــيزه بالعقل وبالفكر قال تعالى : ﴿ ولقد كـرمن بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

وقد خلق الله حـواء لتكون لآدم سكنا وأمنا ، ولتكتمل بهـما أمور الحيـاة . وكما نجد الحاجــة ضرورية إلى الليل والنهار ، والظلام والنور والأرض والســماء ، والطعام والمــاء . نجد أن الحياة لا تســتغنى عن الذكر والأنثى . فلكل منهما خـصائصه ومقوماته وطبيعتــه التى خلقه الله عليها . قال تعالى : ﴿ والليل إذا يغـشى ، والنهـار إذا تجلى ، ومــا خلق الذكـر والأنثى ، إن سعيكم لشتى ﴾ (الليل : ١ ـ ٤) .

كانت المــرأة قبل الإسلام مــهينة فى بعض المــجتمــعات ، متهمة بأنها رجس من وسائل الشيطان ، وكان الفكر المسيحى يعتبرها رأس الشر والفــساد والخطيئة ، استنادا إلى أن ابليس قــد امــتنع عليــه آدم لــمــا أراد اغــواءه بالأكل من الشــجــرة ، فانـصرف عنه إلى حــواء ، فاســتمــعت له وللحيّــة فأغــواياها وحرضها ، وامتثلت فأكلت من الشجرة التى حرمها الله عليهما فى الجنة ، ولم تزل بآدم تــحرضــه وتغــويه حتى أكـل مثلهـا فنكشفت عورتهما ، وارتكبا الخطيئة ، وحواء هى السبب . جاء فى التوراة ، قال الله لآدم :

« هل أكلت من الشــجـرة التى أوصيــتك أن لا تأكل منهـا ؟ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى أعطتنى من الشجرة فأكلت،

فـقال الرب الاله للـمرأة : مـا هذا الذى فـعلت ؟.. الخ » سفـر التكوين ٣ : ١١ ـ ١٣ .

وعلى ذلك الرأى كان لابد من تعـميد الكنيسة للـمواليد على أثر ميلادهم ، لا زالة أثر هذا الإثم المتوارث المهلك لأرواحهم ، والذى يحـول بينهم وبين ملكوت الله ، يقـول حـبيب جـرجس عميـد الكلية الاكليريكية بمـصر سابقا:«والمعـمودية ضرورية للخـلاص وبدونها لا يخلص أحـد ، لأن السيـد المسـيح قال : «من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن » مرقص ١٦:٦[1]

أمـا الفكر الإسـلامى فـإنه يعـتـبـر آدم وحـواء على قـدم المساواة أمام مسئولية الأكل من الشجرة ، لظاهر قوله تعالى: ﴿ فلما ذاقـا الشجرة بدت لـهما سـوءاتهما وطفـقا يخصـفان عليهـما من ورق الجنة ، وناداهما ربـهما ألم أنهكمـا عن تلكما الشـجرة وأقل لكمـا إن الشيطان لكمـا عدو مـبين ؟ قـالا ربنا ظلمـنا أنفــسنا ، وإن لم تغـفــر لنا وترحــمنا لنكـونن من الخاسرين﴾ (الاعراف : ٢٢ ـ ٢٣) .

لقد كَـرم الإسـلام المرأة وليـدة وفتاة وزوجة وأمـاً وجعل الجنة تحت أقدام الأمـهات ، وذكر القرآن عددا مـن النساء كان لهن دور بارز في تاريخ البـشرية مـثل حواء و وأم مـوسـى ، وأخـته ، وزوجـته ، وزوجـة فرعـون ، وبلقـيس ملكة سبـأ ، ومريم بنت عـمران ، وزوجة عزيز مـصـر التى راودت يوسف عن نفسه . كما حـفلت آيات القرآن بآجابة عن أسئلة النساء أو حل لمـشاكلهن . فـسورة المـجادلة نزلت حـلا لمشكلـة امرأة ظاهر منها زوجها وقـال لها أنت على كظهر أمى ، وبدئت بهذه

---

(١) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٦ .

الافـتتـاحيـة : ﴿ قد سـمع الله قول التى تجـادلك فى زوجهـا وتشـتكـى إلى الله ، والله يسـمع تحـاوركـمـا أن الله سـمـيع بصير ﴾

وقد نزلت من القـرآن آيات فى عدد من النساء ، كـما نزلت آيات فى عـدد من الرجـال . وصـدق الله العـظيم ﴿ من عـمل صـالحاً من ذكـر أو أنثى وهو مـؤمن فلنحـيينه حـيـاة طيبـة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧)

الباب الأول

الزواج ونظام الأسرة

الزواج ونظام الأسرة

الزواج هو الطريق الـسليم لبناء الأسـرة ، وإشبـاع العاطفـة ، ورعاية النشء ، وتـعاون الزوج والزوجـة ، وإشباع المطـالب النفسـية والبيولوجية والمادية والمعنوية للزوج والزوجة .

وقد حث الإسلام على الزواج لأنه صمام الأمان ، وباب من أبواب العصمة من الرذيلة ، والبعـد عن الفحشاء والمنكر . قال تعـالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منـكم ، والصالحـين من عبـادكم وامـائكم إن يكـونوا فـقـراء يغنهم الله مـن فـضله والله واسع عليم ﴾ (سورة النور : ٣٢)

والأيامى جـميع أيم وهـو كل رجل لا زوجة له وكل امـرأة لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا . جاء فى ظلال القرآن :

« ونحن نرى أن الأمـر هنا للوجـوب ، لا بمعـنى أن يجبـر الأمـام الأيامى على الزواج ، ولكـن بمـعنى أنه يتـعـين إعـانة الراغبـين منهم فى الزواج ، وتمكينهم من الاحصان ، بوصـفه وسيلة من وسـائل الوقاية العملية ، وتطهير المجتمع الإسلامى من الفاحشة ، وهو واجب ووسيلة الواجب واجب » [1]

وقد امتن الله على عباده بنعمة الألفة والمودة بين الزوجين،

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد ٤ ص ٢٥١٥

حتى يتحملا شظف العيش ، وآلام الحياة وآمالها ، فى سعادة وتعاون ، قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (سورة الروم : ٢١)

وقال تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (سورك النحل ٧٢)

الزواج فى السنة :

حث الرسول ﷺ أصحابه على الزواج وجعل الزواج عبادة مثل الصلاة والصيام والصدقة ، لأن فيه اعفاف زوجة ، وتكوين أسرة، ورعاية ذرية، وتسابق الأسر إلى تربية أبنائها وبناتها، وتوريثهم المعارف والآداب . والميراث المادى والمعنوى.

١ - روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن عبد الله قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة[1] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء[2]» .

٢ - وروى البخارى ومسلم والترمذى عن أنس قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته فلما اخبروا قالوا : وأين نحن من النبى ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم أما أنا فانى اصلى

---

(١) اختلف العلماء في المراد بالباءة ، فقيل المراد بها الجماع ، وتقدير الكلام ، من استطاع منك الجماع لقدرته على تكاليف الزواج فليتزوج . وقال آخرون ، أوجه تفسيرات الباءة : القدرة على تكاليف الزواج .

(٢) قاطع لثوران الشهوة .

الليل ابدا . وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا اتزوج أبدا ، فجاء رسول الله اليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنّى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

٣ - وروى الترمذى والنسائى والحاكم عن النبى ﷺ قال : « ثالثة حق على الله عونهم ، المكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف ، والمجاهد فى سبيل الله » .

صفة الزواج الشرعية :

إذا كان المرء قادرا على مطالب الزواج المالية بثروة فى يده أو عمل يقدر عليه ، معتدل الطبيعة البشرية ، واثقا من اقامة العدل مع الزوجة ، كان الزواج سنة مؤكدة ، يثاب عليه متى نوى به تحصين النفس وتحصيل الولد والالتزام بحدود الله .

الزواج أم التفرغ للعبادة :

أيهما احب إلى الله عند التعارض ؟ الزواج أم التفرغ للعبادة؟ نقل عن الشافعى رحمه الله أن التفرغ للعبادة أحب ، ونقل عن غيره أن الزواج أفضل .

قال صاحب الفتح « ج٢ ص٣٤٢ » : « ومن تأمل ما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق ، وتوسعة الباطن بالتحمل فى معاشرة أبناء النوع ، وتربية الولد ، والقيام بمصالح المسلم العاجز عن القيام بها ، والنفقة على الأقارب والمستضعفين واعفاف الحرم ونفسه ودفع الفتنة عنه وعنهن ودفع التقتير عنهن . لحبسهن لكفايتهن مؤنة سبب الخروج ، ثم الاشتغال بتأديب نفسه ، وتأهيلها للعبودية ولتكون هى أيضا سببا

لتأهيل وغيرها وأمرها بالصـلاة فإن هذه الفرائض كثيرة ـ لم يكد يقف عن الجزم بأن الزواج أفضل من التخلي للعبادة » .

هذه صفة الزواج في حالة الاعتـدال . فإذا كان المرء قادراً على مطالب الزواج الماليـة ، واثقاً من اقامة العـدل في معاملة الزوجـة ، ولكنه يخشى الوقـوع في الزنا لو لم يتـزوج ، كان الزواج واجبـاً ، فإن تحقق الوقوع في الزنا لو لم يتـزوج كان الزواج فرضا .

لختيار الزوجة :

الزوجة شـريكة الحيـاة ، ورفيقـة العمـر ، ورئيسـة البيت وعماد نظامه ومـبعث سعادته ، فإذا كانت صالحـة أقامته على نظام وطيد ، وبثت فـيه روح الخيـر وملأته بأسباب السـعادة وعنيت بتربية أولادها ، فبثت فـيهم كل خلق حميد ، وعودتهم كل عادة حسنة ، وجنبتـهم سئ الأخلاق وقبيح العادات ، وإذا كانت فـاسدة بذرت في البـيت بذور الفســاد ، وزودت ابناءها للحياة بأسوأ زاد ، فكان لزامـاً أن يعنى الزوج باختيار زوجه. قـال ﷺ « تخـيـروا لنطفـكم وانكحـوا الاكـفـاء» [1] . وامـتن أبو الأسود الدؤلي على بنيه باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق ، إذ قال لهم ، لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا ، قالوا : كيف أحسنت الينا قـبل أن نولد ؟ قال اخترت لكم من الأمهات من لا تسبّون بها ، وأنشد الرياشئ في هذا المعنى :

وأول إحساني اليكم تخيرى لماجدة الأعراق باد عفافها

ومن أهم ما ينبغي أن يراعى في الزوجة ما يأتي :

١ – أن تكون من الصـالحـات ذوات الدين والخلق ، لتكون

(١) فتح البارى .

أمينة عفيفة حسنة العشرة ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين والخلق تربت يداك»[1].

٢ - والمراد بذات الدين صاحبة السلوك الحسن والأخلاق الكريمة والخلال الطيبة التى تحافظ على نفسها وبيتها وأسرتها وتتمتع بالمثل العليا والعفة والمروءة ومكارم الأخلاق . فالدين جماع المكارم وأساس الفضائل .

قال بعض العرب ، لا تنكحوا من النساء سته :

لا انانة ولا منانة ، ولا حنانة ، ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة .

أما الأنانة : فى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة ، فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه .

والمنانة التى تمن على زوجها ، فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا.

والحنانة التى تحن إلى زوج آخر ، أو ولدها من زوج آخر ، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه .

والحداقة التى ترمى إلى كل شئ بحدقتها ، فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه .

والبراقة التى تضيع النهار فى تصقيل وجهها وتزينه ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع .

والشداقة ، المتشدقة الكثيرة الكلام ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين »[2] .

---

(١) متفق عليه ، واورده الغزالى فى الإحياء فى كتاب اداب النكاح (ص٧١٨) .

(١) رواه ابو داود والترمذى وحسنه ، وانظر الإحياء للغزالى .

٣ – ينبـغى اختيـار الزوجة من أصـل طيب ومعـدن كريم وأسرة مـعروفـة بحسن السـمعـة والأخلاق الفـاضلة . روى البخارى فى صحيحـه أن رسول الله ﷺ قال : « الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » .

وليس المراد بالأسـرة الكريمة : الثـراء والغنى والوجاهة ، إنمـا المراد حـسن السيـرة والتمـسك بالفضـائل والبعـد عن الشبهات والمحرمات .

قـال ﷺ : « تزوجـوا فـى الحـجـر الصـالـح فـان العـرق دساس»[1] . وعن أنس أنه سـمع رسول الله ﷺ يقـول : « من أراد أن يلقى الله طاهـراً مطهـراً فـيـتـزوج الحـرائر »[2] وعن أبى هريرة أن رسـول الله ﷺ قال : « خيـر نساء ركـبن الأبل صالح نساء قريش ، أحناه[3] على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده »[4] .

وروى أن أكثم بن صيفى قال لأولاده : يا بنى ، لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فإن المناكح الكريمة مدرجه للشرْف .

٤ – ينبغى أن تكون الزوجـة على قدر من الجمـال وحسن الوجه لتحصل بها العفـة ، ويتم الإحصان وتسعد النفس ، وقد كره الفـقهـاء ذات الجمـال الباهر لأنهـا تزهى بجمالـها ، ومن فضل الله أن الجمال أمر نسبى ، وأن المـلاحة والمحبة تختلف

---

(١) أصول التـشريع الإسلامى للأستـاذ على حسب الله ص ٨ نقلا عن الإحيـاء للغزالى جـ ٢ ص ٢٨ .

(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥ .

(٣) كثيرة الحنو على الأطفال .

(٤) ذات يده : ماله (فتح البارى ٩/ ٩٩) .

باختلاف الأفراد ، حتى يقترن كل زوج بما يناسبه .

وقـد ورد فى النصـوص الحث على تزوج ذات الدين ، وألا يكون تزوج المرأة لجمالها وحده ، مع فساد دينها .

قال أبو حامد الغزالى فى الإحياء :

« فأمـا من أراد من الزوجة مجـرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجـمال فهـو إلى الزهد أقرب . وقـد كان مالك بن دينار يـقول : يترك أحـدكم أن يتزوج يتيـمة فيـؤجر فيها، إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ، ويتـزوج بنت فـلان وفـلان من أبناء الدنيـا فـتشـتـهى عليـه الشهـوات ، وتقول اكسنى كذا وكـذا ، واختار أحـمد بن حنبل عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل من أعقلهما ﷺ فقـيل العوراء ، فقال زوجـونى إياها ، فهذا دأب من لم يقـصد التـمتع . فـأما من لا يأمن على دينه مـا لم يكن له مـستمـتع فليطلب الجمال ، فالتلذذ بالمباح حصن للدين .

وقد قيل : إذا كانت المرأة حـسناء ، خيرة الأخلاق ، سوداء الحدقة والشعر ، كبيرة العـين ، بيضـاء اللون ، محبة لزوجها ، قاصرة الطرف عليه ، فهى عـلى صورة الحور العين ، فإن الله تعالى وصف نســاء أهل الجنة بهذه الصـفة فى قوله ﴿فـيهن خيـرات حســان﴾ (الرحمن : ٧٠) ، أراد بالـخيرات حـسنات الأخلاق . وفى قـوله : ﴿قاصرات الـطرف﴾ (الرحمن : ٥٦) ، وفى قـوله ﴿عربا أترابا﴾ العـروب هى العاشـقة المـشتـهيـة للوقـاع، وبه تتم اللذة ، والحـور البيـاض ، والحوراء شـديدة بيـاض العـين شـديدة سوادها فـى سواد الشـعـر ، والعـيناء الواسـعة العين .

وروى النســائى وأحــمد وأبو داود بسند صــحـيح عن ابن عـباس أن رســول الله ﷺ قال : « خـير نســائكم ، من إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

٥ – ومن يمن المرأة خـفة مهـرها ، وتسهـيل أمرها وقلة صداقها ، وقد ورد النهى عن المغـالاة فى المهور . وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصـداق . ويقول ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته باكـثر من أربعمـائة درهم ، وقد جـرى العرف فى هـذا الزمن أن يتعـاون الزوج والزوجـة فى تأثيث المنزل ، وشراء لوازم الزوجية ، وهو أمر حسن يسوغه ارتفاع أثمان جهاز العـروس . فينبغى أن يساهم كل طرف بما يتـيسـر عليـه ، وأن يتعـاون العـروسان كـل بحسب قـدرته ويســاره ، وبدون طمـع أو جـشع أو أنـانيــة أو هروب من المسئولية .

وقـد زوج سعـيـد بن المـسيب ابنتـه من أبى وداعـة على درهمين ، ثم حملها هو إليه ليلا ، فأدخلها سعيد من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها .

وروى أحمد والبـيهقى بسند جيد من حـديث عائشة رضى الله عنها : « من يمن الـمرأة أن تتيـسر خطبتـها ، وأن يتيـسر صداقها ، وأن يتيسير رحمها » يعنى الولادة .

٦ – ينبـغى أن تكون الزوجـة بكراً ، لتكون المـحـبـة بين الزوجين أقوى والصلة أوثق والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف ، وأما التى اختبرت الـرجال ، وما رست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التى تخالف ما ألفته ، فتقل الزوج.

ومن يمن البكر أنها لا تحن إلى الزوج السـابق ، وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً ، قال الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهـوى
مـا الحـــب إلا للحبيــب الأول
كم منزل فى الأرض يعشقه الفـتى
وحنينـــه أبـــدا لأول مــنـزل

٧ - ينبغى ألا تكون الـزوجة من القرابة القـريبة ، لأن ذلك يقلل الرغبة فى الطرف الآخر ، « فإن الشـهوة إنما تنبعث بقوة الإحـساس بالنظر والـلمس ، وإنما يقـوى الاحـساس بالأمـر الغريب الجـديد ، فأمـا المعهـود الذى دام النظر إليه مـدة فانه يضـعف الحـس عن تمـام ادراكـه والتـاثر به ولا تـنبـعث به الشهوة»[١] .

وقـد كانوا يسـتحـبون تزوج البـعيـدات ويرون ذلك أنجب للولد ، وأقوى للبدن ، وأبهى للخلقة ، فعن عمر بن الخطاب أنه قال لبنى السـائب ، قد ضويتم[٢] فانكحـوا فى الغرائب ، وعن الأصـمعى بنات الـعم أصبـر ، والغـرائب أنجب ، وما ضــرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية »[٣] .

(١) الإحياء للغزالى ص ٧٢٥ .
(٢) هزلتم وضعفتم .
(٣) عيون المسائل الشرعية للأستاذ على حسب الله ، ص ٩ .

حقـوق الـزوجـين

حقـــوق الزوجـــة

١ـ المهـــــر

٢ـ النفقـــة

يترتـب على الزواج الصحـيح . حقـوق للزوجة ، وحـقوق للزوج ، وحقوق مشتركة بينهما .

فحقوق الزوجة : المهر ، والنفقة .

وحـقـوق الـزوج ، الطاعـة ، والقـرار فى الـبـيت ، وولاية التأديب.

والحقوق المشتركة بينهما وهى :

(أ) حق استمتاع كل منهما بالآخر .

(ب) حسن العشرة .

وسوف نتناول هذه الأمور بشىء من التفصيل إن شاء الله .

١ـ المهـــــر

تـعـريف المهـــر :

يقال لغة (مهرت المرأة) أى أعطيتها المهر ، وللمهر أسماء منهـا : الصداق والصــدقـة ، والنحلة ، والأجـر ، والفريضـة ، والعُقر .

والمهـر شرعـا ما أوجـبه الشـارع من المال بالزواج حـقا للمرأة على الرجل فى مقابل ملك استـمتاعه بها . ويذكر بعض الفقهاء أن المهر وجب على الرجـل فى مقابل الانتفاع بالبضـع وذلك لإظهار شرف المحل وخطره . وعلمـاء التفسير يرون أن المهر ليس ثمنا للبضـع ولا شراء له ، لأن الانتـفـاع متبادل بين المـرأة والرجل ، ولأن الزواج يحل لكـل منهـما الاسـتـمـتـاع بالآخر. ولكن الله أوجب الصداق على الرجل ليكون دليل صدقه وقدرته على رعاية المرأة والانفاق عليها .

قال الشيخ حسن خالد :

(لقد شرع الله المهر على أنه عطاء مقرر من الرجل للمرأة، وهدية لازمه ، وليس بـدلاً كالثمن للسلعـة ، والأجر للمنفـعة ، قال تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ أى هدية وعطاء، والمهر هدية لازمـة على التراخى وليس على الفور ، وهو على الرجل دون المرأة ، لأن الوضع الطبيعى لكل منهما ، أن الرجل هو الذى يكسب فكان طبيـعيا أن تكون التكاليف المالـية عليه، ومن ضـمنهـا هدايا الزواج ، وهو يقـدم هذا العـطاء فى مطلع الحياة الزوجية لامرأته وشريكة حياته، ليكون تعبيراً مادياً عن مـودته وإخلاصـه وبره ، فضـلاً عن أن الزواج يكلف المـرأة كـثيـراً من الأموال ، فكان لزامـاً على الرجل أن يقـدم لها مـا يعينها فى ذلك ، فأوجب اللّه المهر على الرجل[1].

والمـهـر أثر من آثار العـقـد، وليس ركناً من أركـانه، ولا شرطـاً من شروطه ، ولا ضـرر فى السكوت عنه ، عند العـقد لسهولة الإحتكام حينئذ إلى مهر المثل.

(١) احكام الأحـوال الشخـصيـة فى الشريعـة الإسلامـية، تاليف الشـيخ حسن خـالد والدكتور عدنان نجا، بيروت ١٩٦٤، ص ٩١.

مهر المثل :

هو مهر إمرأة من قوم أبى الزوجة ، كأختها وعمتها ، نماثلها فيما يعتد به من صفات الزوجة : من السن ، والجمال ، والمال ، والدين ، والأدب ، والعقل والعلم ، والبكارة أو الثيوبة وما إلى ذلك ، ويراعى مع هذا حال الزوج ، فان ذا الفضل يرغب فيه ، فيتسامح معه فى المهر .

نيل الأوطار :

جاء فى كتاب نيل الأوطار للشوكانى ، الجزء السادس ، صفحة ١٧٢ ما يأتي:

«روى فى الأثر أن سائلاً سأل عبدالله بن مسعود ، عن إمرأة توفى عنها زوجها ولم يكن قد فرض لها شيئاً ، فجعل يرده شهراً : ثم قال له : « أقول فيه برأيى ، فان يك صواباً فمن الله ورسوله وان يكن خطأ فمن ابن أم عبد ، أرى لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط» ، فقام رجلان وقالا نشهد أن رسول الله ﷺ قضى فى إمرأة يقال لها يروع بنت واثق بمثل قضيتك هذه ، فسر ابن مسعود رضى الله عنه سروراً لم يسر قط مثله بعد اسلامه ، لأن قضاءه قد وافق قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم» . وفى رواية أنه لم يكن قد دخل بها وأن عبدالله ابن مسعود قد حكم لها زيادة على مهر مثلها بالإرث وأوجب عليها العدة.

وجوب المهر :

والمهر واجب على الرجل لزوجته بمجرد العقد الصحيح ، دخل بها أم لا ، واختلى بها خلوة صحيحة أو لم يختل ، وسواء سمى لها مهراً أو لم يسم ، قال تعالى : ﴿ وآتوا النساء

صدقاتهن نحلة﴾ (سورة النساء : ٤) .

وقـال سـبحـانه : ﴿ وأحل لكـم ما وراء ذلكـم أن تبتـغـوا بأموالكم مـحصنين غير مـسافحين، فمـا استمتـعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيماً ﴾ (سورة النساء : ٢٤)

مقـدار المهـر :

تحديد أقل المـهر مختلف فيـه بين العلماء ، فعن سـعيد بن جبـير أقله خمسـون درهماً ، وقيل أقله أربعـون درهماً ، وعن مالك أقله ربع ـ دينار ، وعن أبى حنيفة وأصـحابه أقله عشرة دراهم .

وذهب سفـيان الثورى واسحـاق وأحمد والشـافعى إلى أن أقله كل مـا يصلح ثمناً أو أجـرة، ولا حـد لأقل المـهـر عندهم وروح الشـريعـة تؤيدهم فـقد أمـر القـرآن بتـيسـيـر الزواج ومساعدة المحتاجين على اتمامه قال تعالى : ﴿ أنكحوا الأيامى منكم والصـالحين من عبادكم وامـائكم أن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ (سورة النور : ٣٢)

وروى البخارى عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت يارسـول الله إنى قد وهبت نفسى لك فقامت قـياماً طويلا، فقـال رجل يارسول الله، زوجـنيها إن لم يكـن لك بها حاجة ، فـقال ﷺ ، (هل عندك من شئ تصدقهـا اياه؟) فقال : ما عندى إلا إزارى هذا . فـقال ﷺ (ان أعطيتـها ازارك جلست لا إزار لك فالـتمس شيـئاً) فـقال : ما أجـد شيـئا : فـقال ﷺ (التمس ولو خاتماً من حديد) فالتمس فلم يجد شيئاً . قال ﷺ: (هل معك من القرآن شئ ؟) قال : نعم سورة كذا وسورة كذا ،

وسمى سورا . فقال ﷺ : (ملَّكْتُكَـها بما معك من القرآن) وفى بعض طرق الحديث الصحيحة (زوجتكها) وفى بعضها : (فعلمها القرآن).

وروى أن رسول الله ﷺ قال : (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير).

أكثر المهر :

وأكثر المهر لا حد له باتفاق الفقهاء ، فليس للمهر حد أعلى عند الجميع ، روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى بعض الناس يغالون فى مهور بناتهن فأراد منعهم من ذلك فنهى أن يزاد فى المهر على أربعمائة درهم، وخطب فى الناس قائلاً : (لا تغالوا فى صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتى عشرة أوقية (اى من الفضة) . فمن زاد فى المهر على أربعين أوقية (أربعمائة درهم) شيئا جعلت الزيادة فى بيت المال) .

ثم نزل عمر من على المنبر فقالت امرأة من قريش ليس ذلك إليك ياعمر ، فقال : ولم ؟ قالت لأن الله تعالى يقول : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ (سورة النساء : ٢٠ ، ٢١) .

فقال عمر : اللهم عفواً ، كل الناس أفقه من عمر . ثم رجع إلى المنبر وقال : (انى كنت نهيتكم أن تزيدوا فى صدقات النساء على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب).

وروح الشريعة تميل إلى تيسير المهور وعدم المغالاة فيها حتى لا يسد باب الزواج على الراغبين فيه.

وقـد حث النبى ﷺ على عـدم المـغـالاة فى المـهـور وفى الحـديث الشريف (إن أعظم النكاح بركـة أيسره مـؤنة) . وفى الحديث أيضـا : (إن من يمن المرأة تيسـير خطبتـها وتيسـير صداقها) .

قال الأستاذ على حسب الله : وإنمـا اعترف عمر رضى الله عنه بالخطأ حـتى قيل أن امرأة خـاصمت عـمر فخـصمـته أى انتـصـرت عليـه ، لأنه أراد أن يلزم الناس بالوقـوف عند حـد محدود فى المهر ، ولو أنه اراد أن يرشدهم إلى ماهو أحب من غيـر الزام ما رجع عن قوله ، ولا خـصمتـه المرأة ، فمـا كان لعمـر أن يرجع عن قول يوافق مـادعا إليه الرسـول صلى الله عليه وسلم[1].

تعجيل المهر وتاجيله :

المهر من الحقوق المـالية : يصح تعجيله كله وتأجيله كله ، وتعجـيل بعضـه ، وتأجيل بعـضه الآخر ، إلـى أجل قريب أو بعيـد، ويصح جعله أقـساط متـساوية أو متـفاوتة : تؤدى فى مواعيد معينة .

فإذا كـان هناك اتفاق على شئ من ذلك عـمل به ، وإلا اتبع فى كل بلد ما جرى به العرف فيه، فالمعروف عرفا كالمشروط شرطا.

وجاء فـى كتاب احكـام الأحوال الشـخصيـة فى الشريـعة

(١) عيون المسائل الشرعية في الأحوال الشخصية للأستاذ على حسب الله. الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ ص ٨٩.

الاسـلاميـة ، الجـزء الأول ، للاسـتاذ أحـمـد إبراهيم إبراهيم المؤلف سنة ١٩٢٥م.

«الفقرة ١٦٧ ـ ويصح أن يتفق الزوجـان على تعجيل المهر كله أو تأجيله كله إلى أجل قريب أو بعـيد ، وتعـجيل بعـضه وتأجـيل بعـضــه الآخـر على حـسـب العـرف، وذلك يخـتلف باخـتلاف البـلاد، وقد حكى صـاحب الفتح أن أهالى خـوارزم يؤجلون كل المـهـر ، والمتـعـارف عندنا فى القـاهرة تعجـيل الثلثين وتأخير الثلث إلى الوفاة أو الطلاق ، وقد يعجل النصف ويؤجل النصف فى بعض البـلاد الأخرى كذلك ، وقـد يقسط المهـر على أقساط تؤدى فى مـواعيد مـعينة بحـسب الاتفاق، وبالجملة إن كان شرطا فى ذلك اتبع الشرط وإلا اتبع العرف ، ومن المقرر أن المعروف عرفا كالمشروط شرطا .

٢ـ النفقـــة

النفقـة هى الحق الثانى من حـقوق الزوجـة المترتـبة على العقد الصحيح .

والنفقة فى اللغة الاخـراج ، يقال نفقت الدابة إذا خرجت من ملك صاحـبهـا بالبيع ، والمـصدر النفـوق كالدخول ، بـمعنى الهلاك أو الرواح أو الخروج ، والذهاب ، والنفقة اسم مصدر ، وفى اصطلاح الفقهاء: هى اسم للشئ الذى ينفقه الانسان على عيـاله وزوجته وأقـاربه ومملوكـه ، ويشمل الطعـام والكسوة والسكن ، وهى حق واجب للزوجة على الزوج لقوله سبحانه : ﴿ أسكنوهن مـن حـيث سكنتم من وجـدكم ولا تضـاروهنّ لتضـيقـوا عليهن ، وإن كنّ أولات حـمل فأنفـقوا عليـهن حتى

يضــعن حملهن فـإن أرضعن لكم فـآتوهن أجورهن، واتــمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له أخرى ، لينفق ذو سعـة من سعتــه ، ومن قدر عليــه رزقه فلينفق مـما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا مـا آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ (سـورة الطـلاق : ٦ ، ٧) . وقـال عـز شـأنه : ﴿ والوالدات يرضــعن أولادهنّ حولين كـاملين لمن أراد أن يتمّ الرضــاعة ، وعلى المـولود له رزقـهنّ وكسـوتهنّ بالمـعروف ﴾ (سـورة البقرة : ٢٢٣).

وروى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : (اتقوا الله فى النساء فـانكم أخذتموهن بأمـانة الله ، واستحللتم فـروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف).

وروى البـخـارى ومـسلم : «أن هـندا بنت عـتـبـة زوج أبى سـفيان قـالت : يارسول الـه إنّ أبا سفـيان رجل شحـيح لا يعطينى من النفـقة ما يكـفينى ويكفى بنى ، إلا مـا آخذ من ماله بغيـر علم، فقال ﷺ : خذى من ماله بالمعـروف ما يكفيك ويكفى بنيك»(١).

وروى أن رجلا جـاء إلى النبى ﷺ فـقال : «ما حق الـمرأة على زوجـها ، فـقال له ﷺ : يطعـمـها إذا طعم ويكسـوها إذا كسي، ولا يهجرها فى المبيت ، ولا يضربها ولا يقبّح».

حكمة وجوب النفقة على الزوج:

يقتضى عقد الزواج أن تكون الزوجة محبوسة لحق الزوج، ومحرمة على غيره، لتقوم بالـمقصود من الحياة الزوجية ، من حفظ النسل وتربية الولد ورعاية شئون البيت.

(١) فتح القدير ٣/٣٢١.

«والمتفق عليه أن من حبس لحق غيره فنفقته واجبة عليه، فالقاضى والعامل والموظف وكل عامل فى الدولة وغيرها نفقاتهم واجبة على من حبسوا لهم، ولما كانت الزوجة قد حبست نفسها للاشراف على البيت والقيام بأعبائه ، فقد وجبت لها النفقة على الزوج جزاء هذا الاحتباس»[1] ، فقيرة كانت أم غنية ، مسلمة أم كتابية . ويجب على الزوج وقد أعده الله لحماية الأسرة ورعايتها وحمل أعبائها أن يكفيها مئونة السعى لكسب قوتها لتتفرغ لأداء واجبها على الوجه الأكمل.

عمل الزوجة :

الأصل فى الحياة أن يكدح الرجل ، وأن يتحمل نفقة الأسرة ورعايتها ، كما أن المرأة انسان رقيق العاطفة ، قادر على العطف والحنان ورعاية الذرية وادارة شئون البيت ، هذا هو الأعم الأغلب ، وهو ما تقتضيه الفطرة. وفى تقديرى أن الدعوة الاسلامية فى بداية انتشارها، صاحبها نهضة تعليمية وتثقيفية للرجال والنساء، وفى الحديث الشريف، أن النساء قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: غلبك علينا الرجال فاجعل لنا يوما ولهم يوما، فجعل للنساء يوما معلوما يذهب فيه اليهن ليعظهن ويعلمهن.

وعرفنا عددا وفيرا من راويات الحديث ، والعارفات بشئون الدين والأدب وغير ذلك من المعارف.

وظل تعليم الرجال والنساء فى تقدم وازدهار. فكانت المدارس والمجالس للتعليم والتعليم، ثم مرت بالمسلمين

---

(١) فتح القدير ٣/٣٢١.

قرون سوداء ساد فيها الجهل والظلام، وسادت دعوة إلى عدم تعليم المرأة.

وفى العـصر الحـديث انتشـر التعليـم بين البنين والبنات، وحـصلت الإناث على أرقى مـراحل التـعليم، وشـغلت المـرأة العديد من الوظائف.

وترتب على عمل المرأة هذا التساؤل :

إذا كـانت نفقـة المرأة على الـرجل ، فكيف نعمل إذا كـانت المرأة تعمل وتتقاضى راتبا من عملها ، أو ربحا من تجارتها؟

وأرى أن الحياة الزوجيـة تقوم على التعاون والتكافل ، وأن يد الله على الشـريكين مـالم يخونا، فـإذا خانا رفـعت البركـة عنهما. فالزواج شركة يتعـاون فيها الزوجان، ويقدم كل واحد منهما للأسرة ثمرة جهده وصافى مرتبه، وحصيلة سعيه. ولا مانع أن تحـتفظ المرأة لنفـسها بجـزء من مرتبهـا ، وأن تقدم جزءا منه للمنزل جـزاء السماح لها بالعـمل وترك المنزل. وقد جرى العرف على هذا التعاون بين الزوجـين فى مواجهة أعباء الحياة.

جاء فى كـتاب «عـيون المسـائل الشرعـية» للأسـتاذ على حسب الله، نقلا عن ابن عابدين ٢ / ٦٦٥ ما يأتي:

«وإذا كان للزوجة حـرفة تزاولها خارج البـيت نهارا وتبيت عند الزوج ليـلا، كان له أن يمنـعهـا من الخروج لمـزاولة هذه الحرفة، فإذا لم تطعه سقطت نفـقتها ، وليس له أن يمنعها من أن تزاول فى البيت عملا لا ينافى قيامها بحقوق الزوجية».

تقدير النفقة :

يراعى فى النفقة حال الزوج يسارا أو اعسارا ؛ فقد أمر الله

ذا السعة من الأزواج بأن ينفق من سعته، ولا يضيق على زوجه، وأمر من قدر عليه رزقه أن ينفق مما آتاه الله، قال تعالي: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾
(سورة الطلاق : ٧)

غلاء الأسعار :

كما يراعى فى فرض النفقة حال الزوج، يراعى ارتفاع الأسعار وانخفاضها فى الأسواق، وإذا قدرت النفقة باعتبار حال الزوج، وأسعار الحاجات فى زمن ما، فحسنت حاله أو ارتفعت الأسعار كان للزوجة أن تطالب بزيادة ما قدر لها ، وإذا ساءت حاله أو خفضت الأسعار كان للزوج أن يطالب بخفضه.

حقــوق الـزوج

١- الطــاعـــة
٢ - القرار في البيت
٣ - ولاية التـأديب

للزوج على زوجتـه حقوق ثلاثة هى : الطاعـة ، والقرار فى البيت ، وولاية التأديب :

١ – الطــاعة :

الزواج رباط مـقدس حث عليـه القرآن ، وأمـرت به السنة . ومن هدى الإسـلام أن تقـوم هذه الرابطـة بين الزوجـين على المودة والرحمة والاحسان .

ومن حق الزوج على امـرأته أن تطيعـه فيـما يتعلـق بأمور الزوجية ، ومجال الناحية الخلقـية هنا أوسع من مجال الناحية القانونية ، ولـهذا كثرت الأحاديث التى تحث الـمرأة على طاعة زوجها . وسنذكـر طائفة منها ، منقـولة من كتاب إحياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقى . ومن كتب الصحاح والسنة :

١ – روى ابن حبان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامـت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » .

٢ – روى البخارى ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

قال : « اطلعت فى النار فإذا اكثر أهلها النساء » ، فقلن لم يا رسول الله ؟ قال « يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعنى الزوج المعاشر .

وقد ذكر الأستاذ محمد عزة دروزه فى كتاب « المرأة فى القرآن والسنة » أن هذا الحديث وأمثاله يخص طائفة من النساء تجحدن حق الزوج ، ولا تقوم بطاعته ، تحرص على الشجار والنزاع ، ولا تجنح إلى الطاعة ولين الجانب . والحديث وارد فى مقام الوعيد والتهديد لمن تتكبر على زوجها وتكثر الشجار والنزاع ، ولا تتحلى بالوداعة والطاعة .

٣ - روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

٤ - روى الحاكم وصحح اسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ، انى فتاة أخطب فأكره التزويج ، فما حق الزوج على المرأة ؟ قال : « لو كان من فرقة إلى قدمة صديد فلحسته ما أدت شكره » قالت أفلا اتزوج ؟ قال : « بلى تزوجى فانه خير » .

وهذا الحديث كما ترى يصور حق الزوج فى طاعة زوجته ، وواجب الزوجة نحو زوجها من طاعة وعرفان بالجميل ، وبذلك تستقيم الحياة ، وتستقر الأسرة وتسعد الأجيال ، بالعطاء والايثار والتعاون ، وطاعة الزوجة لزوجها ، وعطف

الزوج ورعايته لزوجته .

٥ - روى الترمـذى وأبو داود وابن حبـان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لو أمرت احداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » .

٦ - جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يا نبى الله إنى رسول النساء إليك ، ومـا منهن امرأة ـ عـلمت أو لم تعلم ـ إلا وهى تهوى مخـرجى إليك ، الله رب الرجال والنساء والاههم ، وأنت رسول الله الى الرجال والنساء ، كـتب الله الجهاد على الرجال ، فـإن أصابـوا أثروا وأن استـشـهدوا كـانوا أحـيـاء عند ربهم يرزقون ، فمـا يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعـة ؟ فقال ﷺ : «طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن ، وقليل منكن من تفعله» .

وفى هذا يقول على كـرم الله وجهه : « جهاد الـمرأة حسن التبعل » .

أى أن جهاد المرأة فى قيامها بحق زوجها ، ومحاولة القيام بمهـمة الزوجة على أحـسن وجه ، واثقة أن زوجـها بشر فـيه ضـعف الانسـان فلتـقبله علـى علاته ، ولتـصـبـر على بعض هفـواته ، فان قـيام المـرأة بحق بعلهـا ، وطلبهـا لمرضـاته ، وحرصها على فعل ما يرضيه ، يعدل الجهاد فى سبيل الله .

٧ - روى التـرمذى وقـال حسن غـريب ، وابن ماجـه عن أم سلمة أن رسـول الله ﷺ قال : « أيمـا امرأة ماتت وزوجـها عنها راض دخلت الجنة » .

وآيات القرآن الكريم توضح أن للرجال حق القوامة ورئاسة الأسرة لـما حبـاه الله به من قـوة وقدرة ، واختـلاط بالحـياة والأحيـاء ، وقدرة على التكسب والانفـاق ، وقد تميـزت المرأة

بالعاطفة والحنان لرعاية البيت والأسرة . قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ (النساء : ٣٤) .

جاء فى تفسير المنار[١] ، ما يأتى :

« أى أن من شأن الرجال القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ، ومن لوازم ذلك : أن يفرض عليهم الجهاد دونهم ، فإنه يتضمن الحماية لهن ، وأن يكون حظ الرجال من الميراث أكثر من حظ النساء ، لأن عليهم من النفقة ماليس عليهن ، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء فى أصل الخلقة ، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت فى التكاليف والأحكام ، أثر التفاوت فى الفطرة والأستعداد ، وثم سبب كسبى آخر يدعم السبب الفطرى ، وهو ما ينفق الرجال على النساء من أموالهم » .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : « المراد بالقيام هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بارادته ، وليس معناها أن يكون المرءوس مقهوراً مسلوب الإرادة لا يعمل عملاً إلا مايوجهه إليه رئيسه ، فإن كون الشخص قيماً على آخر ، هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه »[٢] .

---

(١) تفسير المنار ، الجزء الخامس . ونداء للجنس اللطيف ، للسيد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ .

(٢) نداء للجنس اللطيف ، تاليف رشيد رضا ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ ص ٣٠ ، ٣١ .

درجــة الرجــال :

قال تعالى : ﴿ ولهن مثل الذى عليـهن بالمعروف وللرجال عليـهن درجة ﴾ (البـقرة : ٢٢٨) . لقـد شاءت حكمـة الله أن تقوم الحياة بين الزوجين على أساس من المودة والرحمة وقد بين القرآن أن لكل واحد مـن الطرفين حقوقا وعليـه واجبات ، وتعنى هذه الآيـة فـيمـا تعنيـه أن كل مـا يحـق للزوج طلبـه وانتظاره من زوجـته ، من أمـور مـشروعـة من طاعة وأمـانة وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومعاملة ومودة وإحترام وثقة وتكريم وبر وترفيه ، ومـراعاة مزاج ورعاية مصلحـة وقضاء حاجات ، يحق للزوجة طلبـه وانتظاره من زوجها ، ومن جملة ذلك اعتـبار كل من الزوجين نفســه شريكا للآخر فى مـختلف نواحى الحـياة ، ومعـاملة كل منهـما للآخر علـى هذا الأساس وكلمة « بالمعروف » فى مقامـها بليغة المدى ، لأن هذه الكلمة عامة تعنى ما هو متـعارف عليه أنه حق ، وهذا لا يقاس بزمن بعينه ، فيـما ليس فيه تحديد فى كتـاب وسنة ، بل يظل يتبدل ويتطور حـسب تبدل ظروف الحـياة الإجـتمـاعيـة وتطورها ، والضابط العام فيه هو أن لا يحل حراما ولا يحرم حلالاً .

روى مـسلم وأبو داود عن مـعاوية القـشـيرى قـال : قلت يا رسـول الله ما حق زوجـة أحدنا عليـه قال : « تطعـمهـا إذا طعـمت ، وتكسوها إذا كـسيت ولا تضـرب الوجه ولا تقـبح ، ولا تهجر إلا فى البيت » .

والحديث ليس بسبيل بيان كل حقوق الزوجة على زوجها ، وأن جملة﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ واسعة المدى فى إرشاد كل طرف أن يقوم بواجبه حيال الطرف الآخر .

« وللرجال عليهن درجة » .
.قال بعضهم إن هذه الدرجة تتمثل فى كون الرجل هو الذى يملك حق الطلاق دون الزوجة ، ويملك حق التزوج بأكثر من زوجة . وقال بعضهم : إن كون الرجل هو المسئول عن الانفاق على الأسرة ، والأقوى على رعايتها قد جعل له شيئا من الهيمنة عليها وهو ما عنته جملة «وللرجال عليهن درجة » .

وقال بعضهم : إن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ، وأنه لابد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين تختلف آراؤهم ورغباتهم فى بعض الأمور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إليه فى الخلاف ، لئلا يعمل كل فرد ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، وجعلت الرئاسة للرجل وعبر عنها بجملة « وللرجال عليهن درجة » لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله وفى كل ذلك سداد وتوافق مع طبيعة الاجتماع التى جرت فى كل زمان ومكان وظرف ، على أن يكون للرجل الرئاسة فى الأسرة لأنه الابرز والأقدر على تلقى المشاكل وحلها[1] .

وينبغى للرجل ألا يبغى بفضل قوته على المرأة ، ولا للمرأة أن تستثقل فضله وتعده خافضا لقدرها ، بل أن وجود الرجل هو الذى ييسر للمرأة القيام بوظيفتها الفطرية ، وهى الحمل والولادة وتربية الأطفال وهى آمنة فى سربها ، مكفية ما يهمها من أمر رزقها[2] .

والعلاقة بين المرأة والرجل علاقة تكامل لا تماثل ، فلكل

---

(١) محمد عزة دروزة ، المرأة فى القرآن والسنة ، ص ٣١ .
(٢) نداء للجنس اللطيف ، للسيد رشيد رضا ، باختصار وتصرف ، ص ٣١ .

منهـمـا دوره ، ومن الخطأ أن يرغب أحـدهمـا فى التنحى عن الدور المطـلوب منه ، ويطمـع فى دور الطرف الآخـر ، قـــال تعالى: ﴿ ولا تـتمنوا ما فـضل به بعضكم على بعـض للرجال نصيب مما اكـتسبوا وللنساء نصيب مما اكـتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شئ عليماً ﴾ (النساء : ٣٢)

٢ - القرار فى البيت :

المرأة المـسلمة صاحـبة رسالة هـادفة ، تتمـثل فى رعاية أسرتهـا وتربية أبنائهـا وبناتها ، وقيـامها بحق زوجـها وهذه الرسالة السامية تسـتدعى قرارها فى بيتها ، متحـصنة بعفتها ودينها ، فـإذا خرجت من بيـتهـا لأمر من الأمـور خرجت فى ثيـاب ساترة ملتـزمة أمـر الدين فى غض البصـر والبعـد عن المحـرمات . وقـد التزمت نسـاء السلف الصالح بذلك فـتركن للبـشـرية ذرية صـالحـة ورجـالا صـالحـين ، ازدانت الدنيـا بأخبارهم وتجمل التاريخ بحسن فعالهم .

روى البـخارى ومـسلم عن أسمـاء بنت أبى بكر الصـديق رضى الله عنها أنها قـالت : « تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شئ غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحة وأعلفه ، وأستقى الماء ، وأخـرز غربه ، وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية فكفتنى سيـاسة الفرس ، فكأنما أعـتقنى ، ولقيت رسـول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه ، والنوى على رأسى ، فقال ﷺ : « اخ اخ لينيخ ناقته ويحملنى خلفه » فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغـير الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أنى

قد أستـحييت ، فجـئت الزبير فحكيت له ما جـرى ، فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد عليَّ من ركوبك معه » .

إن عناية المرأة المسلمة وجهـدها ينبغى أن يبذل فى تربية النشء ورعـايتـه ، ونظام المنـزل وسعـادته ، وتـعليم الأبناء والبنات وتأديبـهم بأدب الدين والحيـاة . روى أن أسمـاء بنت خارجـة الفزارى قـالت لابنتهـا عند التزوج : إنك خـرجت من العش الذى فيه درجت ، فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيـه ، فكونى له أرضا يكن لك سـماء ، وكونى له مـهادا يكن لك عـمادا ، وكـونى له أمـة يكن لك عـبدا ، لا تلحـفى به فيقلاك ، ولا تباعدى عنه فينساك ، وإن دنا منكى فاقربى منه ، وإن نأى فـأبعدى عنه ، واحـفظى انفه وسـمعـه وعينه ، فـلا يشمن منك إلا طيبا ، ولا يسمع إلا حسناً ، ولا ينظر إلا جميلاً.

قال الغزالى فى الإحياء :

« والقول الجامع فى آداب المرأة ، أن تكون قاعدة فى بيتها، مهـتمة بعملهـا ، تحفظ بعلها فى غـيبته ، وتطلب مـسرته فى جمـيع أمورها ، ولا تخونه فى نفـسها ومـاله ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن خرجت فمختفية ، تطلب المواضع الخالية ، دون الشـوارع والأسـواق ، مـحـتـرزة من أن يسـمع غـريب صوتها، أو يعـرفها بشـخصـها ، همها صلاح شـأنها ، وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها ، وتكون قانعة من زوجها بمـا رزق الله ، وتقـدم حـقه على حـق نفسـهـا ، وحق سـائر أقاربها، مشـفقة على أولادها ، حافظة للستر عليـهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج »[1] .

---

(١) إحياء علوم الدين ، كتاب آداب النكاح ، ص ٧٥٦ ، لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

وقــد أدب الله نساء الـنبى الكريم بأدب الســماء حـين قــال سبـحانــه : ﴿ وقرن فى بيـوتكن ولا تبرجن تبـرج الجاهلـية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البـيت ويطهـركم تطهيـراً ، واذكرن مــا يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمـة إن الله كان لطيفاً خبيراً ، إن المســلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقـانتين والقـانتـات والصادقـين والصــادقات والصــابرين والصــابرات والخــاشـعـيـن والخــاشـعـات والمـتـصـدقـين والمتـصدقات والصــائمين والصائـمات والحافظين فـروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ (الأحزاب : ٣٣ ـ ٣٥) .

المرأة المسلمة الآن :

إن وضـع المرأة المسلمة فى عـدد من البلاد الإسلامية ، بل فى كـثيـر منهــا وضـع يتنافى مع أدب الإســلام وهديه . فقـد خرجت سافـرة متبرجة ، كــأنها تعرض مفاتنهــا لتوجه أنظار الرجــال إليهــا ، أو تثـير اعـجــابهم بمحــاسنهــا ، وإن لم تكن حسنــاء، لتستـمتع بمــا يوجه إليـها من نظرات الاســتحـسان الآثيــمة أو الكاذبة ، وإلا لمــاذا تكشف الحـرة الشـريفـة عن عوراتها ومفــاتنها لغير زوجها ومحارمــها ، والله تعالى يقول : ﴿ يأيهــا النبـى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المـؤمنـين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ (الأحزاب : ٥٩) .

وقد أصبح خـروج المرأة على ما وصفنا عــادة مألوفة فى الشوارع والمـتاجر والمجتـمعات العامــة ، ومظهرا من مظاهر المدنيــة الحديثــة التى فتن الناس بها .. فـيا لله للمـسلمين من

تقليد أعمى .. اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

وخروج المرأة فى حد ذاته ليس حراماً إذا كان لهدف أو مقصد مشروع وإنما يحرم إظهار المفاتن والعورات والخلوة بغير المحارم »[1] .

٣ - ولاية التاديب :

قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ .

جعلت الآية النساء نوعين :

النوع الأول : الصالحات ، ولسن فى حاجة إلى تأديب ، فقد بلغن بصلاحهن وخضوعهن لله ولأزواجهن مرتبة سامية .

النوع الثانى : من يخاف نشوزهن وإنحرافهن عن الصراط المستقيم فهن فى حاجة إلى تهذيب وتأديب ، وقد شرع من أساليب التهذيب ووسائل التأديب ثلاثاً :

الأول : الموعظة الحسنة ، وهذا ما يلائم حال المرأة التى تكفيها الأشارة أو الكلمة ، والزوج أدرى بما يصلح امرأته من ذلك .

الثانى : الهجر فى المضحج ، وقد قيل إن المراد به المبيت فى حجرة غير التى تبيت فيها ، وقيل فى فراش غير فراشها وقيل إن التعبير بقوله تعالى « فى المضاجع » يدل على

---

(١) الأستاذ على حسب الله ، الزواج فى الشريعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ص ٢٠٣ بتصرف واختصار .

هجرها مع المبيت معها فى فراشها ، ولعل هذا يكون آلم لها .
وما دام المقصود التـأديب فالأولى أن يترك تقدير ذلك إلى الزوج ، ليـفعل منه مـا يلائم حـاله ، وما يراه ادعى إلى كـبح جماح زوجه .

الثالث : الضرب ، ويجب ألا يكـون مبرحـاً شديد الإيلام . وقد روى عن ابن عبـاس تفسيره بالضـرب بالسواك ونحوه ، ومن هنا نرى أن القـصد فـيـه إلى الايذاء المعنوى أقـوى من القصد إلى الايذاء البدنى .

والعـارف بأحوال النســاء فى البيـئات المـختلفـة يدرك أن منهن من لا تصلح إلا بهذا النوع من التأديب .

فــهو توجـيه من العلـيم الحكيم لتسـتـقيم الأســر وتتمـتع بالاستـقرار والإنتظام . وليتـخير كل زوج من يناسب زوجـته من أساليب التأديب .

ومن الخيرُ أن يقضى الزوجان وقتـا فى دراسة وضعهما ، ومـعرفـة الأسـباب التى تزعج الزوج ، والأسـبـاب التى تؤلم المرأة ، ويتـفقان على تجنب كـل واحد منهمـا ما يؤلم الطرف الآخر ، ومن الخير أن تكون النصيحة هادئة بعيدة عن الأنفعال والغـضب ، حـتى لا يجرح الـطرف الآخر ، ولا تأخـذه العـزة بالأثم .

قال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى
ولا تنطـقى فى ســورتى حــين أغضـب
ولا تنقرينى نقــرك الدف مرة
فإنـــك لا تـدريـن كـيـــف المغـــيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى
ويأبـاك قلبى والقـــلوب تـقلب
فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى
إذا اجتمعـا لم يلبـث الحـب يـذهب

وفى خطبة حجة الوداع قال رسول الله ﷺ :

ألا واسـتوصـوا بالنساء خـيرا ، فـإنما هُن عـوان عندكم ، لا تملكون منهن شيئاً غير ذلـك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فـعلن فاهجروهن فى المـضاجع واضربوهن ضربا غـير مبـرح ، فإن اطعنكم فلا تبغـوا عليهن سبـيلا ، ألا إن لكَم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حـقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فـراشكم من تـكرهون ، ولا يأذن فى بيـوتكم لـمن تكرهون ، وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن .

الحقوق المشتركة بين الزوجين

من الحقوق المشتركة بين الزوجين ما يأتى :

١ - حل استمتاع كل منهما بالآخر

٢ - حسن العشرة

١ - حل الاستمتاع

ضبط الدين غريزة البطن والفرج ، فأمر بغض البصر وحفظ الفروج وأكل الحلال والإلتزام بحدود الله ، قال تعالى فى صفات المؤمنين الفالحين : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا علي أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾
(سورة المؤمنون : ٥ ـ ٧)

فلكل من الزوجين حق الاستمتاع بصاحبه ، وهذا أمر تدعو إليه الفطرة ، ويتوقف عليه التناسل ، فعلى كل منهما أن يلبى داعى الفطرة البشرية ، ولا يمتنع على الآخر ، ما لم يكن هناك ما يمنعه من مرض أو حيض أو غير ذلك من الموانع .

وقد حكى عن كثير من العلماء أن الجماع حق للمرأة كالرجل ، ولها أن تطالب به ، ولعل من جعله حقاً للرجال وحده نظر فيه إلى توقفه علي شرط ايجابى من قبله وسلبى من قبلها وهو عند الحنفية من الأمور التى لا يتناولها القضاء والإلزام إلا الوطأة الأولى ، وهو واجب على الزوج لامرأته

ديانة ، بحـيث لا ينقطع عنها مـدة الايلاء ـ أربعة أشــهر ـ من غير رضاها(١) .

٢ – حسن العشرة :

الزواج فـيه ازدواج ومـخالطة ومـعـاشرة ، وفـيه تعـاون وتكامل ، وقد حث الإسلام على حسـن العشرة بين الزوجين ، ونفر من الظلم والتظالم بينهما .

وقال سـبحـانه : ﴿ ولهن مثل الذى علـيهن بالمـعروف ﴾ (البقرة : ٢٢٨) . وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكـم أزواجا لتسكنوا إليـها وجـعل بينكم مودة ورحـمة ﴾ (الروم : ٢١)

« فكل من الزوجـين مطالب بإحـسـان مـعاشـرة الاخـر ، ويكون ذلك بالبـعـد عـمـا ينـفـر ، والسـعى إلى مـا يرضى ، والتـعاون على دفع الشـر وجلب الخـير ، والإخـلاص فى أداء الواجب مع العطف والتسامح وحـسن الحديث ، وإحترام الرأى وما إلى ذلك مما تقـتضيه الحياة الزوجية من أسـباب السعادة والإطمـئنان ليدوم الـوفاق والوئام ، ويتـمـتع الأبناء بسعـادة الآباء)(٢) .

وقـد أكثـر القـرآن من استـخـدام كلمـة المعـروف ، وهى ما عرف عن الشـرع حسنه ، وما تعارف الناس عليه ، واعـتبر من الآداب العامة ومكارم الأخلاق .

قال تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾

وقال سبحانه ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾

(١) على حسب الله ، الزواج ص ٢٠٧ ، والفرقة بين الزوجين ، ص ١٤٤ .
(١) الأستاذ على حسب الله ، الزواج ، ص ٢٠٨ بتصرف .

فالحيـاة بين الزوجين لا يصلحهـا إلى التعاون والتضـحية والإخلاص والإيثار ، وقد عقـد أبو حامد الغزالى بابا فى آداب المعاشرة بين الزوجين قال فيه :

ومن الآداب التى ينبـغى أن يتـحلى بهـا الزوج ، الاعـتـدال والأدب فى (١٢) اثنى عشـر أمرا . فى الوليـمة والمعـاشرة ، والدعابة والسيـاسة ، والغيرة ، والنفقة والتعلـيم ، والقسمة ، والتأديب فى النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق. وسـوف نتحـدث عن خمـسة من أهم هذه الآداب إن شـاء الله تعالى .



آداب تتعلق بالزواج

على الزوج مراعاة الاعتدال فى خمسة أمور هى :

١ - الوليمـــة

٢ - الصـبر والاحـــتمال

٣ - المداعبـــة والمـــزاح

٤ - مزج المداعبة بالحزم

٥ - الاعتـدال فى الغيرة

١ - الوليمـــة :

الزواج فى حـد ذاته نعمـة كبـرى فيـه صيانـة الأعراض ، وامتــاع النفس ، وبه تتم راعيـة الذرية وإثراء الحيـاة ، ولذلك شرعت الوليـمة لأجله ابتهاجـا به وإعلانا له ، والوليمـة طعام يدعى إليـه الأصـدقاء ، من الأغنـياء والفـقـراء ، ومن منكرات الزواج المبـالغة فى الولائم ، وإحـضار العـازفين والراقـصين والراقـصــات ، والجناية على الفـضـيلة والتبـذير والإســراف والبذخ ، وقد نهى القرآن عن الإسراف والتبذير ، فقال تعالى : ﴿ ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كـانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ (سورة الإسراء : ٢٦ ، ٢٧) .

إن الفضــيلة وسط بين رذيلتين ، ونحن لا ندعـو إلى البخل والشح ، ولا إلى الاسراف والتبذير ، وإنمــا ندعو إلى الاعتدال

فى نفقات الزواج ووليمة العرس ، حسب اليسار والإعسار ، إن الوليمة سنة نبوية من هدى النبوة ، وهى مستحبة للقادر ، ولكن الالتزام بمظاهر الولائم ، ونفقات الأفراح ، جعل بعض الناس يغالون فيها غلوا فاحشا ، يخرجها عن هدى الدين ، وتعاليم سيد المرسلين .

أعرف تاجرا مسلماملتزما من أسرة متدينة زوج كريمته ، وصنع احتفالا فى فندق كبير بالقاهرة ، وقاربت نفقات الحفل خمسين ألف جنيه ، واستقدم فى الحفل طائفة من المغنيات والراقصات وهى أمور بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وهدى سيد الأنام .

فإذا كان هذا حال مسلم ملتزم ، فماذا يصنع عامة الناس ؟ إن المسلمين فى حاجة إلى صحوة ويقظة وتمسك بروح الإسلام واعتزاز به ، والتزام بما جاء به النبى الأمين ، ويجب أن تعرف كل عروس أن الكرامة ليست فى اتباع التقاليد الآثمة، ولكن فى اتباع الهدى الإسلامى لنكون حقا خير أمة أخرجت للناس .

لقد ورد فى هدى النبوة الحث على إعلان الزواج ، والضرب عليه بالدفّ ، وأبيح الغناء فى حفلات العرس ، بشرط أن تكون هناك الكلمة والأداء واللحن وغيرها مما يشيع البهجة والسرور ، ولا يثير الفتنة والرذيلة . فالغناء ، والضرب بالدف ، وإظهار البهجة والسرور ، أمور مندوبة أو مباحة ، وهى تعبر عن سماحة الدين ويسره ، وإن الإسلام لا يؤيد المتزمتين المتشددين ، الذين يرفضون كل لهو مباح ، وهو فى نفس الوقت لا يؤيد المتجاوزين ، الذين يرون الأفراح لا تتم إلا

باستقدام الراقصات المـائلات المميلات ، الذين لا يرون رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام .

نحن فى حاجة ملحــة إلى تيسر الزواج ، وتسـهـيل نفقاته ، حــتى يقدم الشـبان والشــابات على الزواج بدون مـعوقـات ، وبدون نفقات اضافية باهظة .

صـحيح أن الوليـمة سنة ، ولكنها طعام عـادى يقدمه الزوج حسب مقدرته وطاقته .

روى البــخارى ومـسلم عن أنس رضـى الله عنه قـال : رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة « الطيب » فقال مــا هذا ؟ فقال عبدالرحــمن تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، فقــال النبى بارك الله لك أولم ولو بشاة . ومـعروف أن عبدالرحمن بن عوف كان من أثرياء المسلمين .

وروى الأربعة عن أنس قال أولم رسول الله ﷺ على صفية بتمر وسويق .

اى أن الوليمة يمكن أن تكون ثريدا ولحما ، ويمكن أن تكون أى نوع من الطعام ليس فيه لحم بحسب حالة الشخص ، وهى مستحبة وليست أمرا واجبا .

وربما كان الأفضل للفقراء والـشباب الناشئ الأقتصـار فى التكاليف قدر الأمكان ، حــتى يتيسر أمر الـزواج ويتم إحصان المؤمنين والمؤمنات .

وتستــحب تهنئة العروســين ، فيـقول من دخل على الزوج بارك الله لك ، وبارك عليك وجمع بينكما فى خير .

روى أبو داود والترمذى وصـححه ابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قــال فى تهنئــة الزوج « بارك الله لك وبارك عليك

وجمع بينكما فى خير » .

ويستـحب إظهار النكـاح وإعلام الناس به . روى التـرمذى وحسنه وابن مـاجة أن النبى ﷺ قـال : « فصل مـا بين الحلا والحرام الدف والصوت » .

وروى البخارى عن الربيع بنت معـوذ قالت جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بُنى بى ، فجلس على فراشى ، وجويريات لنا يضـربن بدفهن ، ويندبـن من قتل من آبائى ، إلى أن قـالت إحداهن : وفـينا نبى يعلم ما فى غـد .. فقال لهـا « أسكتى عن هذه وقولى الذى كنت تقولين قبلها » .

إن الغناء الجـيد وسـيلة لتـسرية النفـس وامتـاع العاطفـة وايناس الزوج والزوجـة ، بشرط الالـتزام بمـا ورد فى السنة من ناحـية الكلمـة التى تغنًّى ومن ناحـية العـزف بالدف ومن ناحية عدم الإثارة والفتنة .

٢ - الصبر والاحتمال

عاطفة المرأة جياشـــة ، وهى مفطورة على سرعة الأنفعال ، وقد خلقها الله كذلك لتقوى فيها عاطفة الأمومة ورعاية الأسرة، واحتمال آلام الحـمل والرضاعة والفصال والتـربية ، وقد أمر الإسـلام الرجل بحسن الخـلق ، واحتـما الأذى من الزوجـة ، وكفّ الأذى عنها والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله ﷺ .

فـقـد ورد فى الصـحيـحـين أن أزواجـه كـانت تراجـعنه الكلام(١)، وتهجرة الواحدة منهن يوما إلى الليل .

---

(١) أى ترد عليه الكلام ، وتقترح عليه غيرها يامرها به .

وراجـعت امرأة عـمر رضى الله عنــه عمـر فى الكلام فقـد أتراجعينني يالكعاء ؟ فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه ، فقال عمر خابت حفصة وخـسرت إن راجعته ، ثم قال لحفصة لا تغتـرى بابنة أبى قحافة فـانها حب رسول الله ﷺ وخوّفـها من المراجعة .

وروى النسائى فى السنن الكبرى وابن مـاجة عن أم سلمة أن آخر ما وصى به رســول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه ، وخفى كلامــه ، جعل يقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون ، الله الله فى النساء فانهن عـوان فى أيديكم « يعنى أسراء » أخذتمـوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .

وروى البخـارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنهـا قالت : كـان رســول الله ﷺ يقـول لى : « إنــى لأعـرف غـضـبك من رضاك » قالت وكيف تعـرف ؟ « قال : إذا رضيت قلت لا واله محـمد وإذا غـضبت قلت لا وإله إبراهيـم » قالت صدقـت إنما أهجر إسمك ، وفى رواية والذى بعثك بالحق نبـيا ما أهجر إلا إسمك .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنه طلقها وأنا لا أطلقك » فقالت عائشة : بل أنت والله خـير لى من أى أبى زرع لأم زرع . وهذه الأحـاديث الشـريفة ترشـد إلى مؤانسـة الزوج لزوجتـه ، وامتاع آذانـها بالكلمـة الحلوة ، والأمل البســام ، وينبغى أن تجامـله الزوجة وأن تردد على مـسامـعه كلمـات الحب والود ، حـتى تنتشـر السعادة ، ويرفرف على البيت المسلم رايات المودة والوئام .

وفى الأثر : إذا كـرهت المـرأة زوجهـا فـلا تخبـره بذلك ، فليست كل البيوت تبنى على الحب ، ولكن على التذمم والوفاء، أى مراعاة الذمة والأمانة والوفاء ، لعقد القران بين الزوجين .

ويجب على الجـيل الناشئ أن يعرف أن الحب قـبل الزواج لا يستمـر دوما ، وأن أفضل أنواع الزواج ما نشأ عن اخـتيار عاقل هادئ رزيـن ، ثم يأتى الحب بالمودة والعـشرة ، فـإنما الحب بالتحبب والصبر بالتصبر . وما نراه فى أفلام السينما ، وروايات المسرح من الحبّ لأول نظرة ، وترك الزوجة لزوجها لوقوعـها فى حبائل عـاشق ، أمور تروج فى صناعة السـينما والمسرح . أما الحياة العادية فـتحتاج إلى صبر والتزام بهدى الإســلام ، فـقـــد أمـر الله بغض البـصـــر وحـــفظ الفــروج ، والاستئـذان على البيوت ، وحرم كل عـلاقة آثمة ، وحث الدين على الوفاء بين الزوجين ، وعـدم المسارعة إلى طلب الطلاق ، أو تحطيم عرى الزوجية .

قال تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعـروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (النساء: ١٩)

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « اسـتوصوا بالنساء خـيرا ، فـإن المرأة خلقت مـن ضلع ، وإن اعوج مـافى الضلع أعلاه ، وان ذهبت تقيمها كسرتهـا وكسرها طلاقها ، فاستمتع بها وفيها عوج ، واستوصوا بالنساء خيرا » .

٣ - المداعبـة والمـزاح

ورد فى الأثر : « روحـوا القلوب ساعـة ، فـإنها إذا تعـبت كلت، وإذا كلت عـمـيت » ، والمرأة مـرهفـة الأحســاس ، ومن الخـير أن تتـم معـاملتـها بلـطف وحنان ، وإذا دخل الحب فى القلوب جعلها تحتمل الآلام وتنتظر المستقبل السعيد . ولا شك

أن هذه السعادة النفسية لها أهمية كبرى فى بناء الإنسان المعاصر ، فهى ترياق نافع وعقار مفيد ، إن البسمة واللمسة الحانية والمزاح والملاعبة هى التى تّطيب قلوب النساء .

وقد كان ﷺ يمزح معهن ، وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق . حتى روى أبو داود والنسائى وابن ماجة عن عائشة بسند صحيح أن رسول الله ﷺ كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما ، وسبقها يوما فى بعض الأيام ، فقال عليه السلام : هذه بتلك .

وفى الخبر أنه كان عليه الصلاة والسلام من أفكه الناس مع نسائه . وقالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ، فقال لى رسول الله ﷺ : اتحبين أن ترى لعبهم ، قالت قلت نعم، فأرسل اليهم فجاء واقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله ﷺ يقول « حسبك » ، وأقول أسكت مرتين أو ثلاث ، ثم قال : يا عائشة حسبك ، فقلت نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا » [١] .

وروى الترمذى والنسائى والحاكم وقال رواته ثقات على شرط الشيخين أن رسول الله ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

وروى الترمذى وصححه أن رسول الله ﷺ قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم » ، وفى رواية « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى » . وقال عمر رضى الله عنه :

---

(١) متفق عليه ، وفى رواية يوم عيد ، دون ذكر يوم عاشوراء .

« ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مـثل الصبى ، فإذا التـمسوا ما عنده وجد رجلا » .

وقال لـقمان : يـنبغى للعـاقل أن يكون فى أهله كالصــبى ، وإذا كان فى القوم وجد رجلا .

وفى الصحيحين : « ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواظ مستكبر » .

والعتل هو الفظ اللسـان ، الغليظ القلب على أهله . والجواظ: الشديد المتكبر فى نفسه .

ولأبى داود : « لا يدخل الجنـة الجـواظ ولا الجـعظرى » ، وهو الشديد المتكبر الغليظ القلب .

ووصفت أعرابية زوجها فقـالت : والله لقد كان ضحوكا إذا ولج ، سكيتا إذا خرج آكلا ما وجد ، غير مسائل عما فقد .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لجابر هل تزوجت ؟ قال نعم ، فقـال له بكرا أم ثيبـاً قال ثيـباً ، فقـال ﷺ له : هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » [1] .

إن الرجل المثالى فى هَدْى الإسلام هو الذى يكون قويا فى نفسه ، ملتزما حدود الله ، حازما فى غير عنف ، رقيقا فى غير ضعف ، صفوحا عن الزلات ، متـسامحا عن الهفوات ، يرى أن الضعف البـشرى ملازم للرجل والمرأة على السـواء ، وصدق الله العظيم : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ (سورة النساء : ٢٨). فـينبـغى أن نـنظر إلى شـريك العـمـر على أنـه بشـر يخطئ ويصيب، وتعـتريه فتـرات القوة والضـعف ، والرشد والغى ، فينبغى أن نسدده وننصحه بالتى هى أحسن .

---

(١) انظر الإحيـاء للغزالى ، كـتاب آداب النكاح ، ص ٧٣٠ ، ربع العـادات ، طبع لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

ومن دراسة تراثنا العربى والإسلامى نجد أن الرجل المثالى فى عين الزوجة هو الذى يكون لطيفا ودودا بشوشا متسامحا حازما . ومن ادعى أن الرجل المثالى هو القوى العنيف الشديد الغليظ فقد جاوز الحد .

وينبغى أن تربى الذرية على هذا الأساس ، الحياة الزوجية تعاون وتسامح وعطف مودة ومحاولة أخذ كل طرف بيد الآخر.

٤ - مزج المداعبة بالحزم

بالعدل قامت السماوات والأرض ، وخير الأمور الوسط ، وشر الأمور الشطط ، والمؤمن ينبغى أن يكون لينا فى غير ضعف ، وحازما فى غير عنف .

يقول أبو حامد الغزالى :

« ينبغى ألا يتبسط الرجل فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هوى زوجته إلى حد يفسد خلقها ، ويسقط بالكلية هيبته عندها . بل يراعى الإعتدال ، فلا يدع الهيبة والأنقباض مهما رأى منكرا ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة ، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنّمر وامتعض ، قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال الإمام الشافعى : ثلاثة أن اكرمتهم أهانوك ، وإن أهنتهم أكرموك : المرأة والخادم والنبطى ، أراد به إن محضت الأكرام ولم تمزج غلظك لينك ، وفظاظتك برفقك ، وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج ، وكانت المرأة تقول لأبنتها ، اختبرى زوجك ، قبل الأقدام والجرأة عليه ، انزعى زج رمحه ، فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه ، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه ، فإن

سكت فاجعلي الأكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك .

إن سياسة المنزل أمر خاص ، يكاد أن يكون فيه لكل حادث حديث ، وقديما قالوا لا تكن رطبا فتعصر ، ولا يابسا فتكسر ، لكن المؤمن ينبغى أن يغلّب جـانب العطف والرحمة على جانب القهر والشدة ، وفى الأثر : ما دخل الرفق شيئا إلا زانه ، وفى الحديث الشريف : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا .

فالطبـيب الحاذق هو الذى يقدر العـلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا إلى أخـلاق زوجتـه بالتجـربة ، ثم ليـعاملهـا كمـا يقتضيه حالها [١] .

٥ - الاعتدال فى الغيرة

ينبـغى أن يكون الرجل معـتدلا فى غـيرته غـير مبـالغ ولا مفـرط . والأصل حمل حـال المؤمن والمؤمنـة على الصلاح ، ولذلك ينبـغى ألا يتـجسس الرجل على زوجـتـه ولا يتهـمهـا بالخيانة ، بل الاساس أن يمنحها الـثقة ، ويؤكد لها هذا المعنى ليكون ذلك صمام الأمان فى تماسكها أمام الإغراء والشر .

وفى صحـيح مسلم : نـهى رسول الله ﷺ أن تتـبع عورات النسـاء ، وفى روايـة نهى أن تتطلب عـثـرات النسـاء ، وفى صحيح البخـارى : نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل زوجته ليلا ، يتـخونهـا . والمعنى أن يعود من سـفره ليـلا ، ليتفـقد خيانة زوجته .

إن الثقة التامة أساس اختـيار الزوجة ، وإذا مزجت بالغيرة المعتـدلة ، والرعاية الحانيـة ، كانت عنوان المحبـة الصادقة ،

---

(١) أبو حـامد الغـزالى ، إحيـاء علوم الدين ، كـتاب النكاح ربع العـادات ، ص ٧٣٢ . طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل ما حرم عليه » .

وفى الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه أن رسول الله ﷺ قال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ أنا أغير منه ، والله أغير منى » .

ولأجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وروى أبو داود والنسائى وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : «إن من الغيرة غيرة يحبها الله ومنها ما يبغضها الله ، فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، وأما الغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة » .

وفى الصحيحين من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر ؟ قيل لعمر ، فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك ياعمر » ، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟ .

وكان الحسن يقول : أتدعون نسائكم يزاحمن العلوج فى الأسواق قبح الله من لا يغار .

بوادر الخلاف

إذا بدرت بوادر الخلاف بين الزوجين ، وأحس أحدهما بالحزن أو الأسف لهذه الحياة الزوجية ، فقد حث الدين على الصبر والتريث ، ومعالجة الموقف بالحكمة والصبر . قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيراً » .

أحيانا تثور أعصاب الإنسان ، أو يفلت لسانه بكلمة جارحة،

ومن الخير للطرف الآخـر أن يتمسك بالحكمة والصـبر ، حتى تهدأ العـاصفـة ، وتسـتـقر النفـوس ، ويحس الجميـع بالأمان والمودة والإمـتنان ، قال تعـالى : ﴿ ولا تسـتـوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ (فصلت : ٣٤) .

وصية أب لابنته

١ - احـذرى الكذب على زوجك ، فـالكذب يـخلق فى نفس الرجل الشك والأرتياب ، وهما سم الحياة الزوجية .

٢ - إحذرى شدة الأنفـعالات العصبية ، فـهى تجعل البيت شبه جحيم .

٣ - إحذرى الإسراف فى التجمل ، متى كان زوجك غيورا ، لأن ذلك يغـضب الزوج الغيـور ويثـيره ، ويلقى فى روعـه أن زوجته تتجمل لسواه .

٤ - إحذرى الإسراف فى مدح أى رجل غريب أمام زوجك، فقد يصدر المـدح منك بحسن نية ، ولكن الزوج يكره أن تمدح إمرأته رجلا غريبا على مسمع منه .

٥ - إحذرى البطنة فإنها تفسد الجمال وتجلب البدانة .

وصـيـة أم لابنتها

أى بنيـة : لا تغـفلى عن نظافـة بدنك ، فإن نظـافتـه تضـئ وجهك ، وتـحبب فيك زوجك ، وتـبعد عنك الأمـراض والعلل ، وتقوى جسمك على العمل فالمرأة التفلة ـ غير النظيفة ـ تمجها الطبـاع وتنبـو عنها العـيـون والأسمـاع ، وإذا قـابلت زوجك فقابـليه فرحة مـستبشرة ، فـإن المودة جسم روحه بـشاشة الوجه .

غيرة رجل ومروءة امرأة

شكت إمرأة مطلقة مطلِّقها وأوقفته أمام القضاء ، مطالبة بحقها ، فأنكر الزوج ما أدعته عليه ، وأحضر شهوده ، فطلب القاضى أن تكشف المرأة المطلقة وجهها ، ليشير إليها الشهود فى شهادتهم ، فلم يقبل مطلقها أن يرى أجنبى وجه مطلقته ، واعترف بدعواها ، ولو أن فى ذلك إدانته ، فتنازلت هى الأخرى عن قضيتها ، وأشهدت القاضى أنها أبرأت مطلقها مما لها عليه فى الدنيا والآخرة ، مقابل غيرته عليها .

وفاء زوجة

يحكى أن رجلا أراد أهل زوجته أن يفرقوا بينه وبينها ، لفقر نزل به بعد غنى ، فرفع شكواه إلى الحاكم ليفصل بينهما ، فأمر الحاكم باحضارها ، فلما مثلت بين يديه راقه جمالها ، وود لو أنها كانت زوجة له فقال لزوجها : إننا نخيرها بيننا ، فقال الرجل ذلك إليك ، فتوجه الحاكم نحوها وقال : يا سعدى ، أينا أحب إليك ؟ الملك فى عزة وشرفه وقصوره ، أم هذا الأعرابى فى جوعه وأطماره ؟ فأشارت الزوجة إلى زوجها وأنشأت تقول :

هذا وان كان فى جوع وأطمار
أعز عندى من أهلى ومن جارى

ثم قالت : لست والله لحدثان الدهر بخاذلته ، ولقد كان لى معه معيشة راضية ، وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسم الذى كتب الله لى منه ، فتعجب الحاكم من عقلها

ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم .

قال أحد الحكماء :

« المرأة الطيبــة توحى إلى الرجل ، والذكية تثير اهتــمامة ، والجـميـلة تأسره ، ولكـن المرأة العطـوف الرقيـقـة هى التى تحصل عليه » .

كلمــة إلى الشـبـاب

عند بداية الحياة الزوجية ، ستفــاجأ بتبدد كثير من الأحلام الوردية ، وستصحو على تكاليف الحياة والتزاماتها ونفقاتها ، وينبغى أن يتـعاون الزوجان أمام ذلك بجـد وإخلاص ، الرجل موقـعه خـارج المنزل للكسب والعـمل ، والمرأة مـوقعـها فى المنزل للـنظافـة وإعـداد الطـعـام وإعـداد الأسـرة كلـهـا فى المـسـتـقـبل، وعند بداية النزاع لا ينبـغى الأسـراع إلى الأهل والأقارب ، وينبـغى الاعتماد عـلى النفس ، وتدارس الموقف ، واستمــاع كل طرف لما يشتكى منه الطرف الآخـر ، ومحاولة الابتعاد عن ما يغضب أو يؤلم .

وقد شرع القرآن ثلاث مراتب لعلاج نشوز المرأة :

الأولى : النصيحة الخالصة وتذكـيرها بواجباتها وتحذيرها من شماتة الأخرين ، وينبغى أن تكون النصيحة رقـيقة مبعثها الحب والإخلاص والتقدير .

الثـانية : الـهجـر فى المـضجع ، أو الأعـراض النفـسى و ومقاومة الرغـبة الجسدية فيها ، لعل ذلك يهـدد من كبريائها ، ويردها إلى صوابها .

الثالثة : الضــرب الخفيف الذى يصيب الوجـه ولا يبالغ فى الألم ، بل ضرب بنــحو السواك أو القلم الرصــاص . فهـو أمر

معنوى أكثر منه حسى ، وقد وردت فى هذا أحاديث كثيرة تقبح الضرب وتنفر منه .

وفى النهاية ينبغى للرجل أن ينتهز أول فرصة مواتية لأنهاء التوتر وإعادة الحياة إلى مجاريها ، وإسباغ الحنان والعطف على جو المنزل . قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ﴾ (النساء : ٣٤)

والضرب شرعه القرآن ، كجرعة من الدواء المر ، تفيد فى بعض الأحيان للابقاء على الحياة الزوجية بدلا من تصدع شمل الأسرة . والأخيار من الرجال لا يضربون ، ويكتفون بالوعظ والهجر والخيرات من النساء لا تُضْرب ، وإنما الضرب لفئة محددة ولظروف معينة ، والقرآن يُشرِّع لجميع الفئات ولجميع الطبقات . والضرب يراد منه التهديد . وفى الحديث «آخر الدواء الكى » . وروى البيهقى من حديث أم كلثوم بنت الصديق رضى الله عنها قالت : « كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ، ثم شكوهن إلى رسول الله ﷺ بأنهن تمردن عليهم ، حتى قال عمر : يا رسول الله قد ذأر النساء على أزواجهن ، أى تمردن وعتين فى النشوز والجرأة ، فخلى بينهم وبين ضربهن، ثم قال : ولن يضرب خياركم » .

« فما أشبه هذه الرخصة بالحظر ، وجملة القول إن الضرب علاج مر ، قد يستغنى عنه الخير الحر ، ولكن لا يزول من

البيوت بكل حال ، أو يعم التهذيب النساء والرجال » [1] .

وقد اعترض البعض على عقوبة الضرب ، وقد كتب الأستاذ عباس العقاد في الرد على هؤلاء المعترضين يقول :

« وهو فيما يبدو لأيسر نظرة - إعتراض متعجل في غير فهم ، وعلى غير جدوى وليس هذا الاعتراض بالجائز إلا على وجه واحد ، وهو أن العالم ، لا تخلق فيه امرأة تستحق التأديب البدني ، أو يصلحها هذا التاديب ، وإنه لسخف يجوز أن يتحذلق فيه من شاء على حساب نفسه ، إظهارا لدعوى النخوة والفروسية في غير موضعها ، وليس بالجائز أن يتحذلق به على حساب الشريعة أو الطبيعة ولا على حساب كيان الأسرة وكيان الحياة الاجتماعية .

إن المقام مقام العقوبة ، بل مقام العقوبة بعد بطلان النصيحة ، وبطلان القطيعة ، ولم يخل العالم الإنساني رجالا ونساء ممن يعاقبون بما يعاقب به المذنبون ، فما دام في العالم امرأة من ألف امرأة تصلحها العقوبة البدنية ، فالشريعة التي يفوتها أن تذكرها ناقصة ، والشريعة التي تؤثر عليها هدم الأسرة مقصرة ضارة ، واللغط بهذه الحذلقة نفاق رخيص ، والتماس للسمعة الباطلة بأخبث أثمانها ، وقد أجازت الشرائع عقوبة الأبدان للجنود ، ولها مندوحة عنها بقطع الوظيفة وتأخير الترقية والحرمان من الأجازات والحريات ، فإذا امتنع العقاب بغيرها لبعض النساء ، فلا غضاضة على النساء جميعا العقوبات من جميع القوانين .. وإن عقوبة الجناة تغض من الأبرياء ، وإلا لوجب اسقاط جميع العقوبات

---

(١) نداء للجنس اللطيف ، تاليف السيد محمد رشيد رضا ، ط ٢ ، ص ٣٥ .

من جميع القوانين.. وإن العقـوبة البدنية فى حكم الإسلام جد كريهة، وما أبيحت إلا لاتقاء ما هو أكره منها وهو الطلاق»[1] .

وقال الإمـام محمـد عبده فى تفـسير المنار « الضـرب أمر يحتاج إليه فى حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة ، وإنما يباح إذا رأى الرجل أن رجوع المرأة عن نـشوزها يتوقف عليه .. ونحن مـأمـورون على كلّ حـال بالرفق بالنسـاء واجـتناب ظلمهن، وإمساكهن بمعروف أو تسريحهن بأحسان » .

وقال القرطبى فى تفسـير الآية : « واضربوهن » أمر الله أن يبـدأ النساء بـالموعظة أولا ، ثم بـالهجـران ، فـإن لم ينجحـا فـالضـرب .. والضـرب فى هذه الآية هو ضـرب الأدب غـيـر المبـرح، وهو الذى لا يكسـر لها عظمـا ، ولا يشين جـارحة ، كاللكزة ونـحوها فان المـقصور منه الـصلاح لا غيـر .. « فلا حرج إذا أدى إلى الهلاك وجب الضمان .. » . .

التحكيم بين الزوجين

إذا استـحكم الخـلاف بين الزوجين ، وعـجزا بوسـائلهمـا الخاصـة ، عن حل مشاكلهـما فلا مانع مـن الأستعانة بخـبرة الآخرين وحـكمتهـم ، واختيـار حكم من أهل الزوجـة لدراسة اسبـاب النزاع ، ووضـع خطة لرأب الصدع وتلافى الأنفـصال ويمكن أن يرفعا توصـيتهما للقاضى ، إذا كـان الأمر قد وصل إلى القضاء ، قال تعـالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهمـا فابعثوا حكمـا من أهله وحكمـا من أهلها إن يـريدا اصلاحـا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا ﴾ (النساء : ٣٥) .

---

(١) الموسوعة ٤/٥١٧ ـ ٥١٨ .

فإذا استحالت الحياة بين الزوجين ، وانعدم التوافق بينهما، ولم يمكن التوفـيق بينهما بحال . وإذا تكرر العـجز عن الصلح كان الفراق : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

وقد حـذر الإسلام من الطلاق لمـا يترتب عليـه من تصدع الأسر وتشرد الذرية ، وضياع الأجيال .

قال رسـول الله ﷺ « إن الله لا يحب الذواقيـن ولا الذواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا » .

والذواق هو الذى ينظر للمـرأة كـالفاكـهة يذوق طعـمهـا ، ويرغب فى الانصراف إلى أخرى .

والذواقات المرأة التى تطلق من زوج لتـتزوج ثانيا وثالثا ، فالزواج عندها رغبة فى رجل ثم تنصرف عنه إلى آخر .

ولهذا أمر الديـن بغض البصر ، وحفظ الفـرج ، والبعد عن الحرام ، وإذا رغب الرجل فى امرأة أخـرى فليذهب إلى زوجته وليجامعها ، وليلزم القناعـة والالتزام بحدود الله ، وليبتعد عن ظلم المرأة أو الأعتـداء عليها ، وليحذر التـخلى عن زوجته إلى زوجة أخـرى ، فإن عين الله سـاهرة لا تنام وهو لا يرد دعوة المظلوم ، قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... الظلم شيمته يدعو إلى الندم
تنام عيناك والمظـلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفى الأثر إن امرأة خاصمت زوجها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وصرحت للخليفة العـادل بأنها لا تحب زوجها ، فقال لها عمر :

« إذا كانت أحـداكن لا تحب الرجل منا ، فلا تخـبره بذلك ،

فان أقل البـيوت مـا بنى على المحـبة ، وإنمـا يتعـاشر الناس بالحب والإسلام » .

يعنى إن التـزام كل مـن الزوجـين بحـفظ شـرف الآخـر ، والعمل لما يرشد إليه الإسلام من الواجبات والاداب الزوجية ، هو الذى تنتظم به الحياة الزوجية .

وينبغى لكل من الزوجين أن يتكلف التحبب إلى الآخر بأكثر مما يجده فى قلبه ، فإن التطبع يصير طبعا .

قالت عليـه بنت المهـدى أخت هارون الرشيد : تحـبب فإن الحب داعية الحب .

وفى الحـديث الشريف يقـول النبى ﷺ : « العلم بالتـعلم ، والحلم بالتحلم ، والصبر بالتصبر » .

إن قناعـة الزوجة ورضـاها سبب من أسـباب رضـوان الله عليهـا ، وإذا ماتت الزوجة وزوجهـا عنها راض دخلت الجنة .

وإذا أفسدت الحـياة الزوجية ، ورغـبت فى الطلاق عدوانا على زوجها ، أو تطلعا إلى زوج آخر، فإنها تـحرم من رائحة الجنة .

روى الخـمسـة إلا النسائى ، وحـسنه الترمـذى عن ثوبان قال: قال رسـول الله ﷺ : « أيما امرأة سـألت زوجها الطلاق من غير ما سبب فحرام عليها رائحة الجنة » .

وروى الحـاكم وصحـحـه ، وأبو داود وابن ماجـة عن ابن عـمـر عن النبى ﷺ قـال : « أبغض الحـلال إلى الله عـز وجل الطلاق » .

النسل والذرية

(أ) الثمرة الطبيعية للزواج ، هى النسل والذرية والأولاد ، والولد نعمة امتن الله بها علينا فى كتابه الكريم .

قال تعــالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجـاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيـبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (النحل : ٧٢) .

والتصاق الأم بالحمل وبالرضاع وبالرعاية أظهر وأوضح ، قال تعالــى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملتـه أمه وهنا على وهن ، وفــصــاله فى عــامـين ، أن اشكر لى ولـوالديك إلى المصير﴾ (لقمان : ١٤) .

وقال سبحانه : ﴿ ووصينا الإنســان بوالديه إحسانا حملته أمه كـرها ، ووضعته كـرها وحمله وفصاله ثلاثون شــهرا ﴾ (الأحقاف : ١٥)

كـمــا وصى القـرآن برعاية الـوالدين ، والأعـتراف لهــمــا بالجـميل ، خـصوصـا فى مرحلة الكبـر والشيـخوخـة فقـال سبحانه : ﴿ وقضى ربك ألا تعـبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إمــا يبلغن عندك الكبـر أحدهمــا أو كلاهمــا فـلا تقل لهمــا أف ولا تنهرهما وقل لهـما قولا كريما ، واخـفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ (الإسراء: ٢٤)

(ب) وقد حث الإسلام على أن يحتفى بالمولود وأن يبشر به والده ويهنأ به ، وشــرع العـقيـقة وهى ذبح شــاة شكرا لله على ولادة المولود .

قــال تعــالى : ﴿ فنادته المــلائكة وهو قـائم يـصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ (آل عمران : ٣٩)

ولما ولدت مارية القبطية إبراهـيم ، خرجت سلمى ـ قابلتها ـ إلى زوجـها أبى رافع فـأخـبرته بذلـك ، فجـاء أبو رافع إلى

النبى ﷺ فبشره فأهدى إليه هدية على بشارته[1] .

ولقد أبطل الإسلام عادات الجاهلية فى التفرقة بين البشارة بالذكر والبشارة بالأنثى .

(جـ) وحث الإسلام على حسن تسمية المولود ، لما للأسم الجميل من آثار نفسية وتربوية كثيرة متنوعة ، فهو يدخل السرور والغبطة على نفس المسمى ، ويدخل الفخر والراحة على نفس أبويه وخاصته ، روى أبو داود وابن حبان عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا اسماءكم » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الأسماء إلى الله : عبدالله وعبدالرحمن » .

وكره النبى ﷺ التسمية بالأسماء الصعبة والمعانى المكروهة مثل : حرب وحزن ولهب ونيران ومرة وكلب . وقد حرم الإسلام بعض الأسماء مثل : ملك الملوك ، أو سلطان السلاطين ، أو شاهنشاه .

وقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك » .

وكذلك التسمية بأسماء الله مثل : عزيز ورحيم وجبار ، وكلكم سيد الناس وسيد الكل ، وسيد ولد آدم ، لأن ذلك ليس لأحد إلا لرسول الله ﷺ .

وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يغير الأسماء القبيحة فى أصحابه فغير اسم عاصية إلى جميلة ، وحرب إلى سلم ، وحزن إلى سهل ، والعاص إلى عبدالله ، وغراب إلى مسلم[2] .

---

(١) تحفة المودود في أحكام ، لابن قيم الجوزية ، ص ٦١ .

(٢) صحيح مسلم ، وتحفة المودود . والترغيب والترهيب ٤ /١٣٩ .

(د) ومن أحكام المولود ذبح عقيقة عنه وهى شاه تذبح للمولود تيمنا بولادته ، وشكرا لله على نعمه ، واطعاما للفقراء والمساكين ، ورغبة فى أن يحفظه الله من السوء .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « مع الغلام عقيقة فاهرقوا دما وأميطوا عنه الأذى » .

وروى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال : « كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعة ، ويسمى فيه ، ويحلق رأسه » .

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشا .

(هـ) ومن مظاهر الفرح بالمولود الجديد : حلق رأسه فى اليوم السابع من ولادته والتصدق على الفقراء بزنة شعره فضة أو ذهبا ، ففى الحديث الشريف عن على رضى الله عنه أن رسول ﷺ أمر فاطمة فقال : « زنى شعر الحسين وتصدقى فى وزنه فضة ، وأعطى القابلة من العقيقة [1] » . وفى الموطأ : وزنت فاطمة شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بوزن ذلك فضة [2] .

(و) ومن حقوق الطفل على والديه إثبات نسبه منهما حفظا له من الضياع والمذلة ، وثبوت نسبه آيه من آيات القدرة الألهية قال تعالى : ﴿ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ﴾ (سورة الفرقان : ٥٤) .

وثبوت النسب حق يثبت للطفل بمجرد ولادته ، من غير حاجة إلى إجراءات من أى نوع ، فوجود الزوجية يكفى فى

---

(١) تحفة المودون بأحكام المولود ، لابن قيم الجوزيه .

(٢) تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك ٢/٤٥

اثبات أن الوليـد ينتسب إلى أبويه ، قـال ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » [1] .

ونظرا لأهمـية الأنتسـاب الحقـيقى إلى الأسـرة ، ضرورة الأندماج الأسـرى عن هذا الطريق ، أنكر الإسلام نظـام التبنى الذى كان معمولا به فى الجاهلية ، ولا يزال كذلك فى كثير من تشريعات العالم الغربى ، فـحرمه الإسلام نظرا لما يؤدى إليه من اختلاط الأنساب ، وأفساد مقومات الأسرة .

قال تـعالى : ﴿ ومـا جعل ادعـياءكم ابناءكم ، ذلكم قـولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل﴾ (الأحزاب : ٦)

وقال سبحانه : ﴿ أدعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم فى الدين ومواليكم ﴾ (الأحزاب : ٥)

وفى مقابل ذلك شدد الأسلام النكير على من ينتسب لغير أبيه وهو يعلم ، وعلى من ينكر نسب ولده وهو يعرف .

(ز) ومن المسئـوليات المشتركة فى هذا الصـدد . رضاعة الطفل ، فهى تجب على أبويه ديانة وقضاء بالأجماع ، على الأم بالفـعل ، وعلى الأب بـالنفـقـة والأجـرة لهـا أو لغـيـرها من المرضـعات ، وقد أفاض العلم الحـديث فى بيان أهمية رضاعة الأم ، وأن هذه الرضاعـة لا تغنى عنها الوسـائل الصناعـية فى الرضـاع مهما تعددت أشكالها وأسـاليبها .

وجملة القول أن كل أمر يخص الوليد فى مـراحله المتقدمة هو من المسئوليات المشـتركة على الزوج والزوجة ، وقد سن الإسـلام فى ذلك أرشـد السنن ، وأهدى السـبل ، إحـتـفـاء بالنسب، وتكريما له ، وتعظيما لشأنه [2] .

---

(١) اخرجه الجماعة إلا ابو داود .
(٢) فلسفة نظام الأسرة فى الإسلام ، ١٥٥ - ١٦٠ ، بتصرف .

وقد ادعى بعض الـمستـشرقين أن القـرآن لم يهتم بتـربية الاطفال ورعايتهم وتأديبهم ، وينبغى أن نعرف أن الوحى كان ينزل ليـبنى الفـرد المسلم والأسـرة المـسلمة ، وكـان سلوك الرسول العملى وتوجيهاته لأصـحابه ، هى المحضن الطبيعى الذى نشأ فيـه أطفال الصحابة ، وقد نشـأ هؤلاء الأطفال حول القرآن والسنة وعمل الصحابة وسلوك المجتمع ، وامتصوا من المجتمع حولهم أهداف الإسلام وآدابه .

ولم تكن التربية كلاما منفصلا عن السلوك ، بل كانت وحياً يطبق وقرآنا يتحرك وسنة تنفذ . فالمستشرقون يقيسون نمط التربيـة الإسلامية على أنمـاط أخرى من التربية ، وهو قـياس مع الفارق ، لأن لكـل نوع من أنواع التربية فلسـفة مـعينة ولا يصح أن نقايس بين نمط للـتربية فى القرن العـشرين ، ونمط فى القرن الســادس الميلادى ، مـع اختلاف المناخ والعـصر ، ومع هذا ففى القرآن والسنة والتـراث الإسلامى ، أدب متكامل لنشأة الأطفال ورعـايتهم وتربيتهم ، وقـد سجل ذلك فى كتب التربيـة الإسلامية ، مـثل رياضة الاطفال والغلمان وتعليـمهم وتأديبهم ، وهو ضمن موسوعة كبيرة كتبها أبو حامد الغزالى بعنوان : إحياء علوم الدين .

ولابن خلدون كتـاب فى رياضة الأطفال وتربيتـهم ، ومثل ذلك لسحنون ، وفى كتب الفقة نجـد فصولا وفقرات عن ولادة الصبى وتربيته وكيفية تعليمه ، وتدريبه على الصلاة والصيام والزكاة والـحج .. وفى تسوية الصـفوف فى صـلاة الجمـاعة يصفّ الرجال ثم الصبيان ثم النسـاء .

العناية بتربية البنات

كان العرب كأكثر الناس يكرهون البنات ، وقد شنع القرآن على هذه العادة وبين أن الرزق من عند الله وأن الله يرزق البنت كما يرزق أباها ، وربما رزق الأب من أجل وليدة عنده ، وتوالت الأحاديث الصحيحة توجه المسلمين إلى رعاية الذرية وتحث على إكرام البنات وتربيتهن وتأديبهن ، والمساهمة فى تزويجهن ، والاشراف على شؤونهن ، وتحمل مسئوليتهن ، وإليك طائفة من هذه الأحاديث النبوية الكريمة :

١ - روى البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة قالت : «دخلت على إمرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة ، فأعطيتها أياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى ﷺ علنا فأخبرته ، فقال : من ابتلى من هذه البنات بشئ فأحسن إليهن كن له سترا من النار » وفى لفظ « من ابتلى بشئ من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار » .

٢ - وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت : « جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها أبنتاها ، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبنى شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال : « إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار » .

٣ - وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه - أى معا . « وفى لفظ الترمذى » من

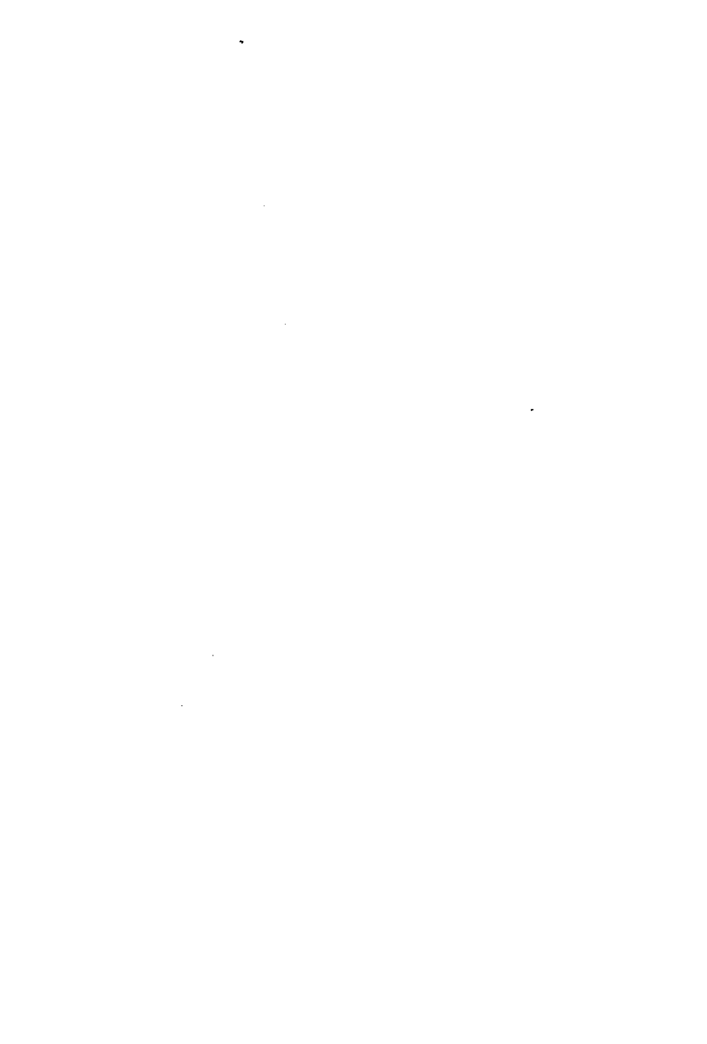
عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه .
ولأبن حبان فى صحيحه ولفظه قال رسول الله ﷺ : « منَ عال ابنتين أو ثلاثا أو اختين أو ثلاثا ، حتى يبلغن أو يموت عنهن ، كنت أنا وهو فى الجنة كـهاتين » وأشــار بأصبـعيـه السبـابة والتى تليها .

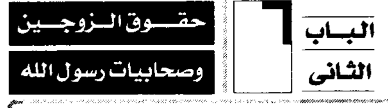
٤ – روى ابن مـاجـة باسناد صـحـيح ، وابن حـبـان فى صحيحه ، والحاكم وقـال صحيح الاسناد ، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » .

٥ – روى الطبـرانى عن عـوف بن مالك أن رسـول الله ﷺ قــال « ما من مـسلم يكون له ثلاث بنـات فينفق علـيهن حـتى يبلغن أو يمـتن الا كن له حجـابا من النار » فقــالت له امرأة أو بنتان ؟ قال : « أو بنتان » وللحديث شواهد كثيرة .

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « من كـان له ثلاث بنـات أو ثلاث أخـوات ، أو بنتـان أو اختان فـأحسن صحبتهن وأتـقى الله فيهن فله الجنة » . ورواه أبو داود بلفظ « فأدبهن وأحسن إلـيهن وزوجهن فله الجنة » ، ورواه أيضا ابن حبان فى صحيحه .

وفى رواية للـتـرمــذى قـال رســول الله ﷺ : « لا يكون لأحـدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فـيـحسن إليـهن إلا دخل الجنة » .





صحابيات رسول الله
صلى الله عليه وسلم



بين جبال مكة ووهادها، نزل وحى السماء على محـمد بن عبداللـه برسالة الله إلى الخلق أجمعين:

﴿ ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ (المدثر : ١ ـ ٤) وجهر النبى الأمين بدعوته، وجمع الناس من أهل مكة ووقف بينهم يقول: (لو أخبرتكم أن خيلا بالبوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟) قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس عامة».

وتبع ذلك جهاد فى تبليغ الدعوة والرسالة فى مكة والمدينة. وكانت الدعوة عامة للرجال والنساء، والعرب والعجم والأبيض والأحمر.

دعوة لتحرير الانسان من العبودية والذل، وتكريم إنسانية الانسان.

تكريم الرجل والمرأة. وقد آمن به الرجال والنساء واحتملت المرأة مع الرجل جانبا من العذاب والهجرة والجهاد والبناء. ودفعت المرأة ضريبة الايمان من التضحية والفداء والشهادة وكانت سمية أم عمار بن ياسر أول شهيدة، طعنها اللعين

أبو جهل بحربة فى قلبها فماتت، وفى شأنها وشأن أسرتها قال النبى صلى الله عليه وسلم: (صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة).

واستمرت الدعوة الاسلامية فى طريقها. وهاجر الرجال والنساء إلى الحبشة مرتين كما هاجر الرجال والنساء إلى المدينة المنورة.

وكان الاسلام دعوة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ومنهاجا للحياة الكريمة والعمل النافع والسلوك المستقيم.

وعنى الاسلام بشأن المرأة وليدة وناشئة وزوجة وأما.

وأثبت حق المرأة فى الميراث، وفى الحياة الكريمة، ورسم لها: مالها وما عليها، وصدق الله العظيم :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ (سورة البقرة : ٢٨٨)

فللمرأة حقوق: هى المهر والنفقة والعشرة بالمعروف، وعليها واجبات هى طاعة الزوج والمحافظة على شرفه وماله ورعاية الأسرة، واضفاء لمسة الحنان والحب والوفاء على المنزل، قال ﷺ (ألا أدلكم على خير ما يكنز الرجل فى بيته، امرأة صالحة إذا نظر إليها زوجها سرته وان أمرها إطاعته وان غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه).

إن هذا الاسلام كان يحمل فكرا جديدا ونورا جديدا وروحا جديدا، كان يحمل فضائل الدنيا، ويرسم الطريق القويم للسلوك الأمثل للرجال والنساء وحين قالت أم سلمة يارسول الله ما بال القرآن يذكر الرجال ولا يذكر النساء أنزل الله تعالى ثلاث آيات جوابا على تساؤل أم سلمة :

الآية الأولى هى الآية ٣٥ من سورة الاحـزاب وفيهـا يقول الحق سبحانه:

﴿ إن المـسلمـيـن والمـسلمـات، والمـؤمنيـن والمـؤمنات والقـانتين والقـانتات، والصـادقين والصـادقات، والصـابرين والصـابرات ، والخـاشـعـين والخـاشـعات والمـتـصـدقـين والمتـصدقات والصـائمين والصائـمات، والحافظين فـروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيـراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾.

والآية الثانية هى الآية ١٩٥ من سورة آل عمران وهى :

﴿ فاسـتجاب لهـم ربهم أنى لا أضيع عمل عـامل منكم من ذكر أو أنثى بعـضكم من بعض فالذين هاجروا وأخـرجوا من ديارهم وأوذوا فى سـبـيلى وقـاتلـوا وقـتلوا لأكـفـرن عنهم سيئـاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتهـا الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ .

والآية الثالثـة هى الآية ٣٢ من سورة النسـاء وفيهـا يقول الحق سبحانه:

﴿ ولا تتمـنوا ما فضـل الله به بعضكم على بعض للـرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسـاء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما ﴾ .

لقـد فتح الاسـلام أبواب العلم للرجل والمرأة وجـعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وقـد أقبلت النسـاء في صـدر الاسلام على رواية الحـديث اقبـالا عظيمـا ، حتى أتى ابن سعـد فى الجزء الذى عـقده من طبقـاته لرواية الحديث من النسـاء على سـبعمـائة امرأة روين الحديث من رسول الله ﷺ أو عن بـعض أصحابه. وترجم ابن

حجر فى كتابه (الاصابة فى تمييز الصحابة) لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات، وشهد لهن بالعلم ووثقهن، وقد كتب كثير من العلماء الأوائل عن مركز بعض النساء العلمية كالخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) والنووى فى (تهذيب الأسماء واللغات) والسخاوى فى (الضوء اللامع)... الخ ونبغ فى التاريخ الاسلامى عالمات خلد التاريخ ذكرهن، فكانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عالمة جليلة، تحدث الناس، وتصحح للصحابة وتفتيهم، بل وتستدرك على فتاويهم وأقوالهم حتى ألف بدر الدين الزركشى كتابا سماه (الاجابة، لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة [1]).

المرأة المسلمة عبر العصور الإسلامى

استمرت مسيرة المرأة المسلمة فى طريق التعليم والمعرفة فى سائر العصور الإسلامية، ومن بين اللائى جمع منهن البخارى أحاديثه كريمة الحرورية والتنوخية، ويشير السبكى فى كتابه طبقات الشافعية إلى كثير من النساء اللاتى كن مرجعا له فى معرفة تقاليد النبى وعاداته.

كما أن عدد النساء اللاتى تبحرن فى الميدان اللغوى والأدبى كان كثيرا. ولم تقتصر النساء على الدراسة بل قمن إلى جانبها بالأشغال المتنوعة فكن يشاركن الرجال فى مهن مختلفة كالتدريس والطب. وذكر ابن خلكان أسماء عدة نساء اشتهرت طالبات للعلم ومحاضرات ومن هؤلاء:

١ ـ أم المؤيد

(١) المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر د. عبدالله شحاته ص ٨١.

٢ ـ فخر النساء شهدة
٣ ـ السيدة نفيسة
٤ ـ مؤنسة الأيوبية
٥ ـ شامية بنت الحافظ
٦ ـ زينب بنت عبداللطيف
٧ ـ شهدة الكاتبة
٨ ـ مريم بنت أبى يعقوب الأنصاري

ومـا لا حظناه فى الجيل المـاضى من تخلف المـرأة علميـا لم يكن الأصل فيه مـحاربة الاسلام لتعليم المـرأة ، وإنما كان مظهرا من مظاهر الجهل الذى عـمت آثاره الرجال والنساء على السواء[1].

ان المرأة حيـن تعود إلى التعليم فى العصـر الحديث فليس ذلك بغريب عن روح دينها ولا عن تراث أسلافها. ونحن نبارك تعليم المرأة ونتمنى أن تحـافظ على تقاليدها وقيمـها، ونرجو ألا يكون التـعليم سـبـيـلا إلى التـمـرد على القـيم والأخـلاق الاسلامية بل هو روح جـديد يعانق روح القرآن والسنة وهدى الصحابة وسيرة الصحابيات.

وهنا أقـدم نماذج مضـيئـة لصحـابيات جليلات كـان لهن شرف الصحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتبسن منه الهدى والنور.

لقـد كـان الرسـول الكريم المـثـل الأعلى ، والنور الهـادى والقمة العالية التى حملت وحى السماء وباركت رجال الاسلام ونساءه حـتى كانوا خـير أمـة أخرجت للناس، وقـد استـضـاء

(١) تطور النظرية التربوية لأستاذ صالح عبدالعزيز بواسطة كتاب المرأة فى التصور الإسلامى للأستاذ عبدالمتعال الجبرى ص ٥٩ ـ ٦٨.

الجميع بنوره ، وقد آثرت أن أقدم هذه التراجم من كتب التراث مـثل طبقـات ابن سعـد، وسيـرة ابن هشـام وأسد الغـابة فى معرفة اصحابة لابن الأثير وقد أفرد الجزء السابع للحديث عن صحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ ـ أسماء بنت عميس

أسماء بنت عـميس بن معد بن الحـارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عمر بن ربيـعة بن عامر بن معاوية بن زيد ابن مالك بن بشر.

وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانية.

أسلمت أسمـاء قديما، وقد هاجـرت إلى الحبشة مع زوجـها جعفر بن أبى طالب فولدت له بالحبشـة عبدالله وعونا ومحمدا، ثم هاجـرت إلى المـدينة فلما قـتل عنهـا جعـفـر بن أبى طالب تزوجها أبو بكر الصديق، فولـدت له محمد بن أبى بكر، ثم مات عنها فتزوجها على ابن أبى طالب، فولدت له يحي، لا خلاف فى ذلك.

روى عن أسـمـاء عمـر بن الخطاب، وابـن عبـاس، وابنهـا عبـدالله بن جـعفر والـقاسم بن مـحمد، وعـبدالله بـن شداد، وعروة بـن الزبير وابن المـسيب وغـيرهم وقـال لها عمـر بن الخطاب: نعم القوم، لولا أنا سبقناكم إلى الـهجرة فذكرت ذلك للنبى صلى الله علـيه وسلم فـقال بل لكم هجـرتان إلى أرض الحبشة وإلى المدينة.

وروى أن أسـمـاء بنت عـميـس قالت يارسـول الله: ان ولد جعـفر تسرع إلـيهم العين أفـأسترقى لـهم؟ قال نعم[1]. رواه

(١) تحفة الاحوذى ، أبواب الطب ، باب ما جاء فى الرقية من العين، الحديث ٢١٣٦ : ٦ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

الترمذى وقال حسن صحيح.

والرقيـا فى الاسلام تكون بقراءة سورة الفـاتحة، وقل هو الله أحد، والمـعوذتين، وخواتيم سورة البـقرة ، وآية الكرسي، وقرأة (باسم الله ما شـاء الله لا قوة إلا بالله) و (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحـمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير).

٢ـ أسماء بنت يزيد الأشهلية

أسماء بنت يزيد الأنصارية من بنى عبدالله الأشـهل، رسول النساء إلى النبى صلى الله عليه وسلم.

روى عنهـا مـسلم بن عبـيـد أنهـا أتت النبى ﷺ وهو بين أصحابه، فقالـت بأبى وأمى أنت يارسول الله، أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنســاء كافة، فآمنا بك وبألهك، وانا مـعشر النســاء محـصورات مقـصورات، قـواعد بيوتكم، ومقـضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وانكم مـعشر الرجال ـ فـضلتم علينا بالجمع والجمـاعات وعيـادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الـحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبـيل الله عز وجل، وان الرجل إذا خرج حـاجا أو معتـمرا أو مـجـاهدا حـفظنا لـكم أمـوالكم، وغـزلنا اثوابكم، وربـينا لكم أولادكم. أفمـا نشارككم فى هذا الأجر والـخير، فـالتفت النبى ﷺ إلى أصـحابه بوجـهه كله ثم قالت: هل سمعتم مـقالة امرأة قط، أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه، فقالوا يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدى إلى مثل هذا، فالتفت إليها النبى ﷺ فـقال: افـهمى ايتـها المـرأة، وأعلمى من خلفك من النســاء أن حسن تبعل المرأةلزوجـها وطلبها مرضاته، واتباعهـا موافقته يعدل ذلك كله فانصرفت المرأة وهى تهلل.

أخرجه الثلاثة : البخارى ومسلم وأبو داود.

ويفيد هذا الحديث الشريف أن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكامل لا تماثل فالرجل عليه أعباء مالية واجتماعية، والمرأة ميدانها المنزل ورعاية الذرية والاشراف على شئون الأسرة. وهى فى هذا الميدان جندى مجهول لا يضيع أجره ولا ينقص ثوابه عند الله ، ولا غنى للرجل عن المرأة ، ولا غنى للبيت عن المرأة ، وهى حين تقوم بواجبها فى منزلها مع زوجها وأولادها ترضى ربها وضميرها وأمتها قال ﷺ إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها.

٣ـ بريرة مولاة عائشة

بريرة مولاة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم، كانت مولاة لبعض بنى هلال فاشترتها عائشة واعتقتها وكان اسم زوجها مغيثا وكان مولى فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت فراقه، وكان يحبها، فكان يمشى فى طريق المدينة وهو يبكي، واستشفع إليها برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها فيه، فقالت: أتأمر؟ قال: بل أشفع، قالت: فلا أريده وقد اختلف فى زوجها: هل كان عبداً أو حرا. والصحيح أنه كان عبدا.

وعن عائشة أن النبى ﷺ جعل عدة بريرة حين فارقها زوجها عدة المطلقة.

وروى عن عبد الملك بن مروان أنه قال: كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لي: ياعبد الملك انى أرى فيك خصالا، وانك لخليق أن تلى هذا الأمر فان وليته فاحذر الدماء فانى

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الرجل ليدفع عن الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمه من دم يريقه من مسلم بغير حق.

روى لها البخارى ومسلم وأبو داود.

وحين اتهمت عائشة فى حديث الافك، وتكلم عنها المنافقون، استشار النبى أصحابه، فقال على أهلك ولا نقول إلا خيرا واسأل الجارية تصدقك فسأل بريرة فقالت والله ما أعلم شيئا يغمطها سوى أنها جارية صغيرة تنام عن العجين فتأتى الدواجن فتأكله.

إن الاسلام كرم انسانية الانسان، واهتم بأمر النساء واليتامى والرقيق فأمر باكرام الرقيق والعبيد، وهذه بريرة كانت رقيقة فكرمها الاسلام، وجعل لها الحق فى اختيار نفسها، وجعلها تجالس الخلفاء وتقترح عليهم العدل وعدم إراقة الدماء، وما رفعها إلى هذه المنزلة إلا الاسلام الذى جعل الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح وصدق الله العظيم ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

٤ ـ جميل بنت يسار

جميل بنت يسار، أخت معقل بن يسار المزنية، امرأة أبى البداح، وقد طلقها أبوالبداح فنزلت فيها الآية ٢٣٢ من سورة البقرة وفيها يقول الله تعالى : ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ .

روى عن الحسن قال، حدثنى معقل بن يسار أن هذه الآية

نزلت فيه، قال: كنت زوجت أختا لى من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له زوجتك وأكرمتك وأفرشتك فطلقتها ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعود إليها أبدا، قال: وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية فقلت الآن أفعل يارسول الله فزوجتها اياه.

ونستلهم من قصة جميل، ومن روح القرآن أن الاسلام يكره الطلاق ويحاول أن يعيد الأسرة إلى الوئام والصفاء خصوصا إذا ندم الرجل بعد الطلاق ورغبت المرأة أن تعود اليه فينبغى لولى أمرها ألا يمنعها من العودة إلى زوجها.

لقد جعل الله الطلاق ثلاث مرات، لعل الرجل أن يندم بعد الطلقة الأولى أو الثانية ويحاول أن يصلح زوجته، فاذا رضيت الزوجة بالعودة فهى أزكى وأطهر ولعل الله أن يهيئ لهما من أمرهما رشدا.

٥ ـ جويرة بنت الحارث

جويرة بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة ـ وهو المصطلق ـ بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا.

وعمرو هو أبو خزاعة كلها، الخزاعية المصطلقية.

سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع، وهى غزوة بنى المصطلق سنة خمس، وقيل سنة ست، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس او ابن عم له.

عن عائشــة رضى الله عنها قالت لما قـسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق، وقعت جويرية فى السهم لثابت بن قيس بن شمـاس أولا بن عم له، فكاتبته على نفـسها، وكـانت امرأة حلوة ملاحـة لايراها أحد إلا أخذت بـنفسه، فـأتت رسول الله ﷺ تستعينـه فى كتابتها ـ قالت عائشــة : فو الله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت.

فلمـا دخلت على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم، قـالت يارسول الله أنا جويرية بنْت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء مـالم يخف عليك ، وقد كـاتبت على نفســى ، فأعنى على كتـابتى ، فقـال رسول الله ﷺ : أو خـير من ذلك ، أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت نعم ، ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوجهـا، فقالوا أصهـار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان فى أيـديهم من بنى المصطلق، فلقد أعتق بهـا مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فـما أعلم امرأة، أعظم بركـة منها على قومها.

ولما تـزوجها رسـول الله ﷺ حجـبهـا، وقسم لهـا وكان اسمها بره فسماها رسول الله ﷺ جويرية [1].

وعن ابن عباس كـان اسم ميمونة بره فسـماها رسول الله ﷺ ميـمونة روت جـويرية الحديث عن النبى ﷺ وروى عـنها ابن عباس وجابر، وابن عمر ، وعبيد بن السباق وغيرهم.

وكـانت جويرية بنت الحـارث قبـل السبى عند ابن عم لهـا يقـال له ذى الشفـر ثم وقـعت فى الاسـر فأدى الرسـول ﷺ

---

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٨٤، واسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ٧ / ٥٧.

كتابتها وتزوجهـا بعد زينب بنت جحش، ومات رسول الله ﷺ ولم ينجب منها ولدا [1].

وكانت عابدة كثيرة الصـلاة مر عليها رسول الله ﷺ وهى فى مسجد بيتها منقطعة فـى صلاتها، ثم مر عليهـا قريبا من نصف النهـار فقـال لها مـازلت على حـالك! قالت نعم قـال ألا أعلمك كلمات تقولينـها: (سبحان الله عدد خلقـه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته).

أخرج لها البخارى ومسلم وأبو داود.

لقد تزوج رسول الله ﷺ تسع زوجـات وكانت هناك حكمة سـاميـة فى زواجه من كل واحـدة منهن، كـانت عائشـة بنت أبى بكر الصديق. وحفصة بـنت عمر بن الخطاب وكان زواجه منهما تكريمـا لصاحبيه ووزيريه كما كـان زواجه من جويرية بنت الحارث رعاية لها وقد وقعت فى الأسر وكانت أيمن امرأة على قومها فبعد زواجها مباشرة أعتق الصحابة ماتحت أيديهم من الأسرى من بنى المصطلق حتى لا يسترقوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦ـ حبيبة بنت سهل الأنصارية

حـبـيـبـة بنت سـهل الأنصـارية، أراد رسـول الله ﷺ أن يتزوجها ثم تـركها، فتزوجها ثابت بن قـيس بن شماس، وهى التى اختلعت من زوجها ثابت بن قيس بن شماس.

وروى أن التى اختلـعت من ثابت بن قيس هى جمـيلة بنت أبى بن سلول. قال أبو عمر: جائز أن يكون حبيبة وجميلة بنت أبى بن سلول اختلعتا من ثابت.

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٦٤٦ ، وابن اسحاق.

روى الامام أحمد: (أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس ابن شماس فكرهته وكان رجلا دميما، فجاءت إلى النبى ﷺ فقالت يارسول الله، انى لأراه ولولا مخافة الله لبزقت فى وجهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« أتردين عليه حديقته التى أصدقك ؟ قالت نعم »

فأرسل إليه فردت عليه حديقته، وفرق بينهما، وكان ذلك أول خلع فى الاسلام.

وروى عن عمرة عن حبيبة أن زوجها ثابت بن قيس كان فى خلقه شدة فضربها، ثم أدى ذلك إلى الخلع.

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود.

ان الاسلام قد جعل الطلاق بيد الرجل، ولكنه أباح للمرأة إذا رأت ان الحياة مع زوجها متعسرة أو مستحيلة أن تطلب الخلع وهو مفارقة الزوج لزوجته على مال تؤديه له جزاء طلاقها، ويكره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها. والخلع جائز عند الضرورة وبشرط أن تكون له أسباب جوهرية وهو وسيلة عملية لتخليص المرأة من زواج متعثر لم يحقق أهدافه من المودة والرحمة، وقد ورد فى هدى النبوة تحذير المرأة من طلب الطلاق بدون سبب، لأن كل زواج يحتاج إلى صبر واحتمال وشئ من القناعة، والخلع لا يكون إلا عند الضرورة، عندما تستعصى الحياة الزوجية ولا يستطاع إصلاحها.

٧ـ حليمة بنت أبى ذؤيب

حليمة بنت أبى ذؤيب واسم أبى ذؤيب: الحارث بن عبدالله بن شجنة بن جابر بن سعد بن بكر بن هوازن.

عن ابن اسحاق لما ولد رسول الله ﷺ التمست أمه له

الرضــعاء واســترضــع له من حـليمــة بنت أبى ذؤيب. وهى أم رسول الله ﷺ من الرضـاعة.

روى عنها عبدالله بن جعفر بن أبى طالب.

عن عبدالله بن جـعفر ابن ابى طالب قال، قـالت حليمة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ التى أرضعته:

قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شـهبـاء فـقدمـت على اتان قمـراء [(1)]، كانت أذمـمت بالركب (أى حبسـتهم لضعفها وانقطاع سيـرها) ومعى صبى لنا وشارف لنا [(2)]، والله مـا ننام ليلنا ذلك أجـمع مع صبـينا ذاك، وما يـجد فى ثديى مـا يغنيه، ولا فى شـارفنا ما يغـذيه، فقـدمنا مكة فو الله مـا علمت منا امرأة ألا وقـد عرض عليـها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذا قيل : يتيم، تركته وقلنا: (ماذا عـسى أن تصنع اليناأمه!! إنمـا نرجو المـعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع الينا).

فو الله مابقى من صواحبى امرأة الا وأخـذت رضيعا غيري، فلما لم أجد غيره قلت لزوجـى الحارث بن عبدالعزي: والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فـلآخذنه، فقال: لا عليك فذهبت، فأخـذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، قـأقبل على ثدياى ، بما شاء من لبن، وشرب أخوه حتى روى، وقام صاحبى إلى شارفى تلك فاذا بها حافل، فـحلب ما شـرب، وشربت حتى روينا فـبتنا بخـير ليلة، فقال لى صاحبى: ياحليمة، والله انى لأراك أخذت نسمة مباركة.. الحديث، وذكر فيه من معجزاته ما هو مشـهور به ﷺ [(3)].

---

(١) القمرة بضم فسكون بياض فيه كدره. (٢) الشارف الناقة المسنة.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ١٦٢ ـ ١٦٥.

وكان ﷺ بالجـعرانة(١) فاقـبلت امرأة بدوية فلمـا دنت من النبى ﷺ بسط لهـا رداءه فـجلست عليـه، وكانت هذه المـرأة حليمة السعدية أم النبى التى أرضعته.

وكان اسم زوجها الذى ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبنه الحـارث بن عـبد العـزى بن رفـاعة ابن مـلان بن ناصر بن فصية(٢) بن نصر بن سعد بن بكر .

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود .

وكانت لرسول الله ﷺ معجزات متعددة ، منها نبع الماء من بين أصابعه ، ومنهـا تكثير الطعام ببركـة دعائه ، ومنها حنين الجذع إليه ، ومنها الإسـراء والمعراج ، ومنها عناية الله به فى الهجرة حيث رد عنه الكفار عند الغار حين رأوا أثر العنكبوت .

من رأى العنكبوت يهـزم جيشا   لاتـقــل هاجـن ولا سنفردا
لو مد سيف نحـو رسـول الله   لأبى السـيف نحوه أن يمدا

٨ - حمنة بنت جحش

حمنة بنت جحش بن رباب :

قال أبو عمـرو : حمنة بنت جحش ،كانت تسـتحاض(٣) هى وأختها أم حبيـبة بنت جحش ، وهى أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت حمنة زوج مصعب بن عمـير ، فقتل عنها يوم أحد ، فتـزوجها طلحة بن عـبيد الله فـولدت له محمداً وعـمران ابنى طلحة(٤) .

---

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة وهى إلى مكة اقرب.
(٢) تصغير فصية
(٣) الاستحاضة ان يستمر بالمراة خروج الدم بعد أيام حيضتها المعتادة .
(٤) الاستيعاب ٤ -٨١٣.

وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ممن قال فى الافك على عائشة رضى الله عنها ، فعلت ذلك حمية لأختها زينب ، إلا أن زينب - رضى الله عنها - لم تقل فى الافك شيئاً ، فقال بعضهم : إن حمنة جلدت مع من جلد وقيل لم يجلد أحد ، وكانت من المهاجرات وشهدت أحداً . فكانت تسقى العطشى ، وتحمل الجرحى وتداويهم ، روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابنها عمران ابن طلحة .

أخبرنا غير واحد بإسنادهم عن عمران بن طلحة عن أمه حمنة بنت جحش قالت : كنت استحاض حيضة كثيرة شديدة فأتيت النبى ﷺ استفتيه وأخبره ، فوجدته فى بيت أختى زينب ، فقلت يارسول الله ، إنى استحاض حيضة كثيرة شديدة ، فما تأمرنى فيها؟ قد منعتنى الصلاة والصيام ، قال أنعت[1] لك الكرسف فإنه يذهب الدم . قلت : هو أكثر من ذلك، قال : فتلجمى[2] . قالت : هو أكثر من ذلك . قال : فاتخذى ثوباً. قالت : هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجاً « اى أصب الدم صباً » . أخرجها الثلاثة .

وفى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال للمستحاضة : صلى وإن قطر الدم على الحصر .

والاستحاضة فى اصطلاح الفقهاء : هى ما تراه المرأة من الدم فى غير وقت الحيض والنفاس ولا يمكن أن يكون حيضاً ، كالزائد عن أكثر مدة الحيض أو الناقص عن أقله ، وهو فى

---

(١) أي أصف لك الكرسف وهو القطن

(٢) تلجمى : اى شدى اللجام يعنى خرقة على هيئة اللجام .

الغالب أصفر بارد رقيق يخرج بفتور على عكس صفات الحيض .

ودم الاستحاضة كر عاف دائم لا يمنع صلاة ولا صوماً .

والمستحاضة ومن به عذر كسلس البول وانطلاق البطن وانفلات الريح والرعاف الدائم والجرح الذى لا يرقأ يتوضأون لوقت كل صلاة ويصلون به ما شاؤوا من الفرائض والنوافل .

والحيض : هو الدم الذى تعتاد المرأة رؤيته فى أيام معلومة « الدورة الشهرية » وأقل مدة الحيض ثلاثة أيام وأوسطه خمسة وأكثره عشرة .

والنفاس هو الدم الخارج عقب الولادة ، وأكثره أربعون يوماً ولا حد لأقله .

ويحرم على الحائض والنفساء كل ما يحرم على الجنب من مس كتابة المصحف والمكث فى المسجد ، ولا يقبل منهما الصوم والصلاة أيام الحيض والنفاس .

وتقضى الحائض والنفساء الصوم ولا تقضيان الصلاة .

ويحرم جماع الحائض والنفساء لقوله تعالي: ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ .

ويباح للرجل أن يستمتع من زوجته الحائض بما شاء عدا الجماع .

قال ابن عباس رضى الله عنه ، كانت اليهود إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، ويعتزلونها جانباً .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢)

فقــال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم «اصنعوا كل شـيء إلا النكاح » وفــى لفظ « إلا الجـمـــاع » . رواه الجـمـــاعـة إلا البخارى .

٩ - خـديجـــة

خـديجـة بنت خـويلد بن أسـد بن عبـد العـزى بن قـصـى القـرشـيـة الأسـدية أم المـؤمنين زوج النبى «ص» أول امـرأة تزوجهـا وأول خلق الله أسلم بإجمـاع المسلميـن لم يتقدمـها رجل ولا امرأة .

مات عنها زوجها أبو هالة ، وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجـر الرجال فى مالها تضاربهم[١] إياه بشـيء تجـعله لهم ، فلما بلغـها عن رسـول الله ما بلـغها مـن صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فى مـالها إلى الشـام تاجراً ، وتعطيـه أفضل مـا كانت تعطى غيـره من التجار ، مع غلام لهـا يقال له ميسرة ، فـقبله منها ، وخرج فى مالهـا ومعه غلامها ميسـره حتى قدم الشام فنزل رسول الـله صلى الله عليه وسلم فى ظل شـجرة قـريباً من صومعـة راهب ، فاطلع الراهب الى ميسـره فقال : من هذا الرجل الذى نـزل تحت هذه الشـــجـرة ، قـــال : هذا رجل من قـريش من أهل الحـرم . فقـال له الراهب : مـا نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ، ثم باع رسول الـله ﷺ سلعته التى خرج بها واشترى ما أراد ، وربحت تجـارته وعلمت خديجه بأخباره فرغـبت فى الزواج منه ، وتم هذا الزواج المبـارك الذى كان له أبعد الأثر فى تاريخ الدعوة الإسلامية .

(١) المضاربة : ان تعطى مالا لغيرك يتجر فيه ، فيكون له سهم معلوم فى الربح

عن عائشة رضى الله عنها قالت أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يعود الى خديجة فيتزود لمثلها ... إلى آخر الحديث .

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس قال خط رسول الله « ص » فى الأرض أربع خطوط قال اتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون .

روى البخارى ومسلم وأحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما غرت من أحد من ازواج النبى ﷺ ما غرت على خديجة»

وعن عائشة أيضاً أنها قالت « كان رسول الله ﷺ لايكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتنى الغيرة فقلت هل كانت إلا عجوزاً ، فقد أبدلك الله خيراً منها . فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا ، والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى وكذبنى الناس وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيئة أبداً . وقد رزق رسول الله من خديجة: القاسم وهو أكبر أولاده وعبدالله وكان يقال له الطيب والطاهر وزينب ثم أم كلثوم، ثم فاطمة ثم رقية.

ونلمح من هذه السيرة العطرة، شمائل النبوة، فقد تزوج

النبى صلى الله عليه وسلم خديجة، وكان عمره الشريف خمساً وعشرين سنة وكان عمرها أربعين سنة، ومكث معها زهرة شبابه حتى ماتت إلى رحمة الله وعمره الشريف خمسون عاماً، ولم يتزوج عليها فى حياتها، ثم تزوج بعد ذلك وعمره قرابة اثنين وخمسين عاماً عائشة وكانت صغيرة، وتزوج بقية زوجاته فى العقد الأخير من حياته وكل زوجة منهن كان لزواجها حكمة معينة، وكانت زوجاته أمهات المؤمنين، وحاملات للسيرة الخاصة، وقد أدبهن القرآن أدباً خاصاً؛ وجعل منهن مثلا أعلى لكل امرأة مسلمة، وفى فترة معينة حرم الله على الرسول زواج أى امرأة بعد ذلك حيث قال سبحانه «لا يحل لك النساء من بعد».

١٠ـ الخنساء بنت عمرو

هى الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عصية ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمية الشاعرة.

قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها فأسلمت معهم فذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشده ويقول : هيه يا خناس ، قالوا: وكانت تقول فى أول أمرها البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ـ وهو شقيقها ـ قتله هاشم وزيد المريان ، وقتل صخر وهو أخوها لأبيها، وكان احبهما إليها، وكان حليماً جواداً محبوباً فى العشيرة، طعنه ابو ثور الأسدي، فمرض منها قريباً من سنة، ثم مات فلما مات أكثرت أخته من المراثى فأجادت ، ومن قولها فى صخر أخيها:

أعينى جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندي؟
ألا تبكيان الجرىء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا ؟
طويل العماد عظيم الرماد ... ساد عشيرته أمردا[1]

ولها فيه:

أشم أبلج [2] يأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار
وان صخرا لمولانا وسيدنا ... وان صخرا إذ نشتو لنحار
هباط أودية حمال ألوية ... شهاد أندية للجيش جرار[3]

وفى الاستيعاب وخزانة الأدب : ان الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها، فقالت لهم أول الليل: يابنى، انكم أسلمتم وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ماخنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل : ﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ، رابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

فإذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها[4]، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها [5] تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة ، فخرج بنوها قابلين لنصحها، وتقدموا فقاتلوا وهم يرتجزون، أبلوا بلاء حسنا ، واستشهدوا رحمهم الله ، فلما

(١) العماد والعمود الخشبة التي يقوم عليها البيت، والعرب تضع البيت موضع الشرف والنسب والحسب.
(٢) أبلج : طلق الوجه.
(٣) ديوان الخنساء ٤٨.
(٤) الوطيس : شبه التنور، اي اقصدوا اشد اماكن القتال.
(٥) الخميس : الجيش.

بلغها الخبر قالت : الحـمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وكـان عمـر رضى الله عنه ، يعطى الخنسـاء أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضى الله عنه .

١١ - خولة بنت ثعلبة

خولت بنت مـالك بن ثعلبة بن أسـرم بن فهر بـن ثعلبة بن غنم بن عوف . عن يوسف بن عبـد الله بن سلام قال : حدثتنى خـولة بنت ثعلبـة امـرأة أوس ابن الصامت ، أخـى عبـادة بن الصـامت قالت : فى والله وفـى أوس بن الصامت أنزل الله عـز وجل صدر صورة « المجادلة» قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر ، وقالت : فدخل على يوما فراجعته فى شئ فـغـضب وقـال : « انت علـى كظهـر أمى » ثم خـرج فجلس فـى نادى قومه سـاعة ، ثم دخل على فـاذا هو يريدنى على نفسى . فقلت : كلا ، والذى نفس خوله بيده لاتخلص إلى وقـد قلت ما قـلت حتى يحكم الله ورسـوله فـينا [1] بحكمـه ، قالت: فواثبنى وامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيـته عنى . قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستـعرت منها ثيابها ، ثم خرجت حـتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سـوء خلقه . قالت : فجعـل رسول الله ﷺ يقول : يا خولـة ابن عمك شيخ كـبيـر فاتقى الله فـيه . قـالت : فوالله ما برحت حتى نزل فى القرآن ، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان

(١) فى المسند (فينا بحكمه) .

يتغشاه ، ثم سرى عنه فقال : يا خولة ، قد أنزل الله فيك وفى صاحبك . ثم قرأ على : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله » .. الآيات ، إلى قوله : « وللكافرين عذاب أليم » قالت : فقال رسول الله ﷺ مريه فليعتق رقبه . قالت : فقلت : والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق . قال : فليصم شهرين متتابعين . قالت : فقلت : والله انه شيخ كبير ، مابه من صيام. قال : فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر [(١)] . قالت فقلت : يا رسول الله ، ماذاك عنده ! قالت : فقال رسول الله ﷺ : فانا سنعينه بعرق [(٢)] من تمر . قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا سأعينه بعرق آخر . قال : فقد أصبت وأحسنت ، فاذهبى فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيرا . قالت : ففعلت [(٣)] .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خرج ومعه الناس ، فمر بعجوز فجعل يحدثها وتحدثه ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، حبست الناس على هذه العجوز ؟! قال : ويلك ! تدرى من هذه ؟ هى امرأة سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة التى أنزل الله فيها : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ﴾ . والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ، ثم أرجع .

١٢ - الربيع بنت النضر

الربيع ـ تصغير الربيع أيضاً ـ هى بنت النضر ، وهى

---

(١) الوسق : ستون صاعاً .
(٢) العرق : هو زنبيل منسوج من نسائج الخوص ، وكل شئ مضفور فهو عرق وعرقة بفتح الراء فيهما .
(٣) مسند الإمام احمد : ٦/٤١٠ /٤١١ .

أنصارية من بنى عدى ابن النجـار ، وهى أم حارثة بن سراقة الذى استشهد بين يدى رســول الله ﷺ ببدر ، فأتت أمه الربيع رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله اخبرنى عن حارثة فان كان فى الجنة صبرت واحـتسبت ، وإن كان غير ذلك اجـتهدت فى البكاء فقال : إنها جنات ، وانه أصاب الفردوس الأعلى(١)

وهذه الربيع هى التى كســرت ثنية امرأة ، فعرضـوا عليهم الأرش(٢) فـأبوا وطلبـوا العـفـو فـأبوا وأتو النبى ﷺ فـأمـر النبى ﷺ بالقـصـاص فـقام أخـوها أنس بـن النضر فـقـال : يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فعفا القوم بـعد أن كانوا أمتنعوا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن من عـباد الله من لو أقـسـم على الله لأبره » وقد قـيل : إن التى فعلت ذلك كانت أخت الربيع .

حـدثنا ثابت ، عن أنـس أن أخت الربيع أم حـارثة جـرحت إنسانا ، فاخـتصموا إلى رسول الله ﷺ فـقال رسول الله ﷺ : القصـاص . فقالت أم الربيع : يا رسـول الله ، أيقتص من فلانة ! والله لا يقـتص منها أبدا . فـقال رســول الله ﷺ : سبـحـان الله يا أم الربيع ! القصــاص كتاب الله . قالت : والله لا يتـقص منها أبدا. فمـازالت حتى قبلوا ، فـقال رسول الله ﷺ : من عـباد الله من لو أقسم على الله لأبره (٣) .

١٣ - رقيقة بنت صيفى

رقيقة بنت صيفى بن هاشم بن عبد مناف .

أوردها الطبرانى وجعفر المستغفرى فى الصحابيات ، وقال

(١) الاستيعاب : ٤/١٨٣٨ .　　(٢) الأرش : الدية .

(٣) مسلم : كتاب القامة ، باب (إثبات القصاص فى الأسنان وما فى معناها) ، ٥/١٠٥ - ١٠٦ .

أبو نعيم : لا أراها أدركت البعثة والدعوة .

أخبرنا مخرمة بن نوفل عن أمه رقيقة ـ قال : وكانت لدة[1] عبد المطلب بن هاشم ـ قالت : تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع ، وأدقت العظم ، فبينما أنا راقدة ـ اللهم أو مهمومة ـ إذ أنا بهاتف يصرخ بصوت صحل[2] يقول : يا معشر قريش ، إن هذا النبى مبعوث ، قد أظلتكم أيامه ، وهذا ابان نجومه ، فحى هلا بالحيا والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا ، عظاما جساما ، أبيض بضا ، أوطف الأهداب ، سهل الخدين ، أشم العرنين ، له فخر يكظم عليه ، وسنه تهدى إليه ، فليخلص هو ووالده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء ، وليمسوا من الطيب ، وليستلموا الركن ، ثم ليرقوا أبا قبيس ، ثم ليدع الرجل ، وليؤمن القوم فغثتم ما شئتم . فأصبحت ـ علم الله ـ مذعورة ، اقشعر جلدى، ودله عقلى[3] ، واقتصصت رؤياى ، ونمت فى شعاب مكة ، فو الحرمة والحرم ما بقى بها أبطحى إلا قال : هذا شيبة الحمد . وتناهت إليه رجالات قريش وهبط إليه من كل بطن رجل ، فشنوا ومسوا واستلموا ، ثم ارتقوا أباقيس واصطفوا حوله ما يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استووا بذروة الجبل ، فقام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام قد أيفع ، أو كرب ، فرفع يديه فقال : اللهم ساد الخلة ، وكاشف الكربة ، أنت معلم غير معلم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عبداك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم التى أذهبت الخف والظلف ، اللهم

(١) سيأتى فى نهاية الترجمة شرح ابن الأثير لغريب هذا الحديث ،وسنشرح ما أغفله.
(٢) أى : فيه بحة .
(٣) أى : تحير .

فأمطر علينا مغدقا مرتعا . فورب الكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء مـا فيها ، واكـتظ الوادى بشجيجـه ، فسمعت شـيخان قريش وجلتها : عبد الله بن جـدعان ، وحرب بن أمية ، وهشام بن المغـيرة يقولون لعـبد المطلب : هنيئـاً لك أبا البطحاء ، أى عاش بك أهل البطحاء . وفى ذلك تقول رقيقة :

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنـا   وقـد فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالمـاء جـونى له سـبل   سحا، فعاشت به الأنعام والشجر
منا من الله بالميمون طـائره   وخير من بشرت يوما به مضر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به   مافى الأنـام له عـدم ولا خطر

أخـرجـه أبو نعـيم وأبو مـوسى ، وقـال أبو مـوسى : هذا حديث حسن عال ، فى هذا الحديث غريب نشرحه مختصرا .

قوله : لدة عبد المطلب ، أى : على سنة . واقحلت : أيبست . وأدقت العظم ، أى : جعلته ضعـيفا من الجهد ، وروى : أرقت ، بالراء . والتهـويم أول النوم ، والإبان : الوقت . وحى هلا كلمة تعـجيل . والحـيا ـ مـقصـور ـ المطر والخـصب ، أى : أتاكم المطر والخصب عاجلا . والوسيط : النسيب . والعظام ـ بضم العـين ـ: أبلغ من العظيم ، وكـذلك الجسـام أبلغ من الجسـيم . والبض : الرقيق البشرة. والأوطف : الطويل، والأشم : المرتفع .

وقوله : له فـخر يكظم عليـه ، أى : يخفـيه ولا يفـاخر به . والسنة : الطريقة وتهدى إليه ، أى : تدل الناس عليه . فليشنوا ـ بالسين والشين ـ أى : فليصبوا ومعناه : فليغتسلوا . فغثتم، أى : أتاكم الغيث والغوث . ونمت : أى : فشت وشـيبة الحمد : لقب عـبـد المطلب ، وتناهت إليـه ـ وفى رواية ـ : تنامت إليـه ومعنـاهما واحد ، أى : جـاءوا كلهم ، ويعنى بقـوله : رجالات

قريش : رؤساؤهم . ومهله : سكونه[1] .

وقوله : كـرب ، أى : قرب . والخلة : الحـاجة . والعـبدى ـ مـقـصور ـ : العـبـاد والعـذرات : الأفنيـة . والسنة : القـحط والشـدة. ويعنـى بالظلف والخف : الغنـم والأبل والمـغـدق : الكثـير. ومـرتعـا : أى ترتع فـيه الدواب : واكـتظ : أى ازدحم والشجيج : سيلان كثرة الماء . والشيخان : المشايخ . والجلة: ذوو الأقدار. اجلوذ أى : تأخر . والجـونى : السحاب الأسود . وسحا أى : منصبا .

١٤ - رقية بنت رسول صلى الله عليه وسلم

رقية بنت رسول الله ﷺ أمهـا خديجة بنت خويلد رضى الله عنهما .

روى الزبيـر بن بكار ، عن عـمــه مـصعب بن عـبـد الله أن خـديجـة ولدت لرسـول الله ﷺ فـاطمـة ، وزينب ، ورقـيـة ، وأم كلثوم[2] .

وروى أيضـاً عن ابن لهيـعة ، عن أبى الأسـود أن خديجـة ولدت للنبى ﷺ زينب ، ورقية ، وفاطمة ، وأم كلثوم .

وروى مـحـمد بن فـضالة قال : سـمعت أن خـديجة ولدت للنبى ﷺ زينب ، وأم كلـثوم ، وفـاطمـة ، ورقيـة . وقـيل أن فاطمة أصغرهن عليهن السلام .

وقال أبو عمر : لا أعلم خلافا أن زينب أكبر بنات رسول الله ﷺ واختلف فيمن بعدها[3] .

وكـان رسـول الله ﷺ قـد زوج ابنتـه رقيـة من عتـبـة بن

---

(١) كذا ، وفى النهاية « ما يبلغ سعيهم مهلة : أى ما يبلغ إسراعهم إبطاءه » .
(٢) انظر كتاب نسب قريش : لمصعب : ٢١ .
(٣) الاستيعاب : ٤/ ١٨٣٩ .

أبى لهب ، وزوج أختـهـا أم كلثوم عـتيـبة بن أبى لهب ، فلـما نزلت سورة (تبت) قال لهما أبوهما أبو لهب ، وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمـية حمالة الحطب : « فـارقا ابنتى »[1] محـمد ففارقاهما قبل أن يدخلا بهـما كرامة من الله تعالى لهما وهوانا لابنى أبى لهب ، فتزوج عثمان بـن عفان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، وولدت له هناك ولدا ، فسماه عبدالله . وكان عثمان يكنى به ، فبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك ، فورم وجهه ومرض ومات ، وكان موته فى جمادى الأول سنة أربع، وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل أبوه عثمان فى حفرته .

وقال قتادة : « إن رقيـة لم تلد من عثمان ولدا» . وهذا ليس بصـحيح ، إنمـا أخـتهـا أم كلثوم لم تـلد من عثـمان ، وكـان تزوجها بعد رقية ، وهذا يدل عـلى أن رقية أكبر من أم كلثوم ، ولما سـار رسول الله ﷺ إلى بدر كـانت ابنته رقـية مـريضة فتخلف عليها عثمان بأمر رسول الله ﷺ له بذلك ، فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشرا بظفر رسول الله ﷺ بالمشركين، وكانت قد اصـابتها الحصبـة ، فماتت بها . وقـيل : ماتت قبل وصول زيد ، ودفنت عند ورود زيد فبينـما هم يدفنونها سمع الناس التكبير ، فقال عثـمان : ماهذا التكبير ؟ فنظروا فاذا زيد على ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء بشـيرا بقتلى بدر والغنيمة ، وضرب رسـول الله ﷺ لعثمان بسـهمه وأجـره ، لاخلاف بين أهل السير فى ذلك .

وقال قتادة : حدثـنى النضر بين أنس ، عن أبيه انس قال : خرج عثـمان مهاجـرا إلى أرض الحبشـة ، ومعه زوجتـه رقية

---

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٢٢ .

بنت رسول الله ، فاحتبس خبرهم عن النبى ﷺ ، فكان يخرج فيسأل عن أخبارهما ، فجاءته امرأة فأخبرته أنها رأتهما ، فقال النبى ﷺ : صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام . (أخرجها الثلاثة)

١٥ - رملة بنت أبى سفيان

رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أم حبيبة القرشية الأموية أم المؤمنين ، زوج رسول الله ﷺ ورضى عنها . وأمها صفية بنت أبى العاص [١] عمة عثمان بن عفان بن أبى العاص . قيل : اسمها رملة . وقيل : هند . أسلمت قديما بمكة ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله [٢] بن جحش ، فتنصر بالحبشة . ومات بها ، وأبت هى أن تتنصر ، وثبتت على إسلامها ، فتزوجها رسول الله ﷺ وهى بالحبشة ، زوجها منها عثمان بن عفان ، وقيل : عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وأمهرها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار ، وأولم عليها عثمان لحما . وقيل : أولم عليها النجاشى ، وحملها شر حبيل ابن حسنة إلى المدينة . وقد قيل : إن رسول الله ﷺ تزوجها وهى بالمدينة .

روى مسلم بن الحجاج فى صحيحه : أن أبا سفيان طلب من النبى ﷺ أن يتزوجها فاجابه إلى ذلك [٣] . وهذا مما يعد من أوهام مسلم ، لأن رسول الله ﷺ كان قد تزوجها وهى

---

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ١٢٤ وجمهرة انساب العرب : ١١١ .

(٢) فى بعض الكتب اسمه : (عبدالله) والمثبت عن كتاب نسب قريش : ١٢٣ وطبقات ابن سعد : ٨/٦٨ ، وجمهرة انساب العرب : ١٩١ .

(٣) مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب (من فضائل ابى سفيان بن حرب رضى الله عنه) ٧/١٧١ .

بالحبشة قبل اسلام أبى سفيان ، لم يختلف أهل السير فى ذلك . ولما جاء أبو سفيان إلى المدينة قبل الفتح ، لما أوقعت قريش بخزاعة ، ونقضوا عهد رسول الله ﷺ فخاف ، فجاء إلى المدينة ليجدد العهد ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلم تتركه يجلس على فراش رسول الله ﷺ وقالت : أنت مشرك .

وقال قتادة : لما عادت من الحبشة مهاجرة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ فتزوجها وكذلك روى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب . وروى معمر ، عن الزهرى : أن رسول الله ﷺ تزوجها وهى بالحبشة . وهو أصح . ولما بلغ الخبر إلى أبى سفيان أن رسول الله ﷺ نكح أم حبيبة ابنته قال : « ذلك الفحل ، لا يقدع أنفه ! » [1] .

وتزوجها رسول الله ﷺ سنة ست ، وتوفيت سنة أربع وأربعين . وقيل : أن رسول الله ﷺ أرسل عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى يخطب أم حبيبة ، فزوجها إياه [2] .

وروى الزبير بن بكار قال : حدثنى محمد بن الحسن ، عن عبدالله بن عمرو ابن زهير ، عن اسماعيل بن عمرو : أن أم حبيبة قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى جارية ، فاستأذنت فأذنت لها فقالت : إن الملك يقول لك : أن رسول الله ﷺ كتب إلى أزوجكيه ، فقلت : بشرك الله بخير . فقالت : يقول الملك : وكلى من يزوجك . فأرسلت إلى خالد بن سعيد ، فوكلته ، فأمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين يحضرون وخطب النجاشى وقال :

---

(١) اى : انه كفء كريم لا يرد . ويروى : (لا يقرع) بالراء ، انظر : النهاية لابن الاثير وطبقات ابن سعد : ٨/ ٧٠ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٨/ ٧٠ .

« إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة ، فبارك الله لرسوله » ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد (١) .

وروت عن النبى ﷺ ، وروى عنها أخوها معاوية بن أبى سفيان ، وكان سألها : هل كان النبى ﷺ يصلى فى الثوب الذى يجامع فيه ؟ قالت : نعم ، إذا لم ير فيه أذى . وروى عنها غيره (٢) .

أخبرنا ابراهيم بن محمد وغيره ، قالوا باسنادهم عن أبى عيسى الترمذى حدثناعلى بن حجر ، أخبرنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عبد الله الشعيثى ، عن أبيه ، عن عنبسة بن ابى سفيان ، عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى قبل الظهر أربعا وبعده أربعا ، حرمه الله عز وجل على النار(٣) .

١٦ - زينب بنت جحش

زينب بنت جحش ، زوج النبى ﷺ ، أخت عبدالله بن جحش، وهى أسدية من أسد بن خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، عمة النبى ﷺ وتكنى أم الحكم .

وكانت قديمة الاسلام ، ومن المهاجرات ، وكان زيد بن حارثة مولى النبى ﷺ قد تزوجها ليعلمها كتاب الله وسنة رسوله ، ثم أن الله تعالى زوجها النبى ﷺ من السماء ، وانزل الله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه :

(١) اخرجه ابن سعد عن طريق عبد الله بن عمرو بن زهير ، انظر الطبقات . ٨/ ٦٨ ـ ٦٩.
(٢) مسند الامام احمد : ٦ـ٣٢٥ ، ٤٢٦/ ٤٢٧ .
(٣) تحفة الاحوذى ،ابواب الصلاة : ٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠٢ .

أمسك عليك زوجك ، واتق الله وتخـفى فى نفسك ما الله مـبديه وتخـشى الناس والله أحق أن تخشـاه ، فلمـا قضى زيد منهـا وطرا زوجناكها ﴾ ...[1] الآية . فتزوجـها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجـرة ، قاله أبو عبـيدة . وقال قتـادة سنة خمس . وقال ابن اسحاق : تزوجها رسول الله ﷺ بعد أم سلمة .

عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رســول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فاذكرنى لهـا . قال زيد : فلمـا قـال لى رســول الله ﷺ ذلك ، عـظمت فى عـينى ، فذهبت إليها ، فجعلت ظهرى إلى الباب ، فقلت : يا زينب ، بعث بى رسول الله ﷺ يذكرك ؟ فقالت : ما كـنت لأحدث شيئاحتى أوأمـر ربى عز وجل . فـقامت إلى مـسجـدها ، وأنزل الله هذه الآية : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ﴾ فجعل رسول الله ﷺ يدخل عليها بغير إذن [2] .

عن أنس بن مالك قال : كانت زينـب بنت جحش تفخر على نساء النـبى ﷺ وتقول زوجنى الله من السـماء ، وأولم عليـها رسول الله ﷺ بخبز ولحم [3] .

وكانـت زينب كثـيرة الخـير والصـدقة ، ولمـا دخلت على رسول الله ﷺ كان اسمها برة فسماها زينب . وتكلم المنافقون فى ذلك وقـالوا : إن محـمـدا يحـرم نكاح نساء الأولاد . وقـد تزوج امرأة ابنه زيد ، لأنه كان يقال له « زيد بن محمد » ، قال الله تعالى : ﴿ ما كان محمدا أبا أحـد من رجالكم ﴾ [4] وقال :

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٧ .
(٢) اخرجه ابن سعد فى طبقاته من طريق سليمان بن المغيرة ، انظر : ٨/٤٧٣ .
(٣) اخرجه ابن سعد ايضا فى طبقاته عن طريق عيسى بن طهمان ، انشر : ٨/٧٥ .
(٤) سورة الأحزاب ، آية ٤٠

﴿ أدعوهم لآبائهم هـو أقسط عند الله ﴾[1] . فكان يدعى « زيد ابن حارثة » وهجـرها رسول الله ﷺ وغضـب عليها لمـا قالت لصفية بنت حي : « تلك اليهودية » فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ، وعاد إلى ما كان عليه . وقيل : إن التى قالت لها ذلك حفصة .

وقالت عـائشة : لم تكن أحـد من نساء النبى ﷺ تسـامينى فى حـسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جـحش : وكـانت تفخـر على نسـاء النبى ﷺ وتقول : إن آباء كن انكحـوكن[2] وإن الله انكحنى إياه .

وبسبـبها أنزل الحجـاب ، وكانت امرأة صناع اليـد ، تعمل بيدها وتصدق به فى سبيل الله .

عن أبى هريرة : أن رسـول الله ﷺ قال للنسـاء عام حـجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر[3] . قال : فكن كلهن يحجـجن إلا سـودة وزينب بنت جـحش ، فـانهـمـا كـانتـا يقـولان : والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا من رسول الله ﷺ .

عن عائشة بنت طلحة ، عن عـائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : أسـرعكن لحـوقا بى أطولكن يدا . قـالت فكنا نتطاول أينا أطول يدا قالت : فكانت زينب أطولنا يدا لأنها كانت تعمل بيدها ، وتتصدق[4] .

وقـالت عـائشة : مـا رأيت امـرأة قط خـيـرا فى الدين من

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥ . (٢) فى بعض الكتب : (انكحكن) . والمراد زوجوكن .

(٣) اخـرجه الإمـام احمـد من طريق ابن ابى ذئب ، بنحـوه . انظر المـسند : ٢ / ٤٤٦ والحصر ـ بضم فسكـون ـ جمع الحصيرالذى يبسط فى البيـوت ، والمعنى : لا تخرجن من بيوتكن بع هذه والزمن الحصر .

(٤) مسلـم :كتاب فـضائل الصـحابة ، باب (من فـضائل زينب ام المـؤمنين رضى الله عنها) ٧/١٤٤ .

زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا وأوصل للرحم ، وأعظم أمانة وصدقة .

وروى شهر بن حوشب ، عن عبدالله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب : إن زينب بنت جحش لأواهة . فقال رجل : يا رسول الله ، ما الأواه ؟ قال : المتخشع المتضرع .

وكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقا به كما أخبر رسول الله ﷺ وتوفيت سنة عشرين أرسل عمر بن الخطاب اثني عشر ألف درهم ، كما فرض لنساء النبي ﷺ ، فأخذتها وفرقتها في ذوي قرابتها وأيتامها ، ثم قالت : اللهم لا يدركني عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا ! فماتت . وصلى عليها عمر بن الخطاب ، ودخل قبرها أسامة بن زيد ، ومحمد بن عبد الله بن جحش وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش قيل : هي أول امرأة صنع لها النعش . ودفنت بالبقيع [1] . (أخرجها الثلاثة)

١٧ - زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت رسول الله ﷺ . هي أكبر بناته ، ولدت ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة ، وماتت سنة ثمان من الهجرة في حياة رسول الله ﷺ ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسلم . وقد شذ من لا اعتبار به أنها لم تكن أكبر بناته ، وليس بشئ ، إنما الاختلاف بين القاسم وزينب : أيهما ولد قبل الآخر ؟ فقال بعض العلماء بالنسب : أول ولد ولد له القاسم ، ثم زينب ، وقال ابن الكلبي : زينب ثم القاسم . وهاجرت بعد بدر ، وكانت زينب قد تزوجت في مكة من أبي العاص بن الربيع .

(١) انظر طبقات ابن سعد : ٨/٨١ .

وولدت منه غلاما اسمه على ، فتوفى وقد ناهز الاحتلام ، وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الفتح ، وولدت له أيضا بنتا اسمها أمامة ، ولم يبادر زوج زينب إلى الإسلام بل أسلم فى وقت متأخر .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : وكان الإسلام قد فرق بين زينب وبين أبى العاص حين أسلمت ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر على أن يفرق بينهما ، وكان رسول الله ﷺ مغلوبا بمكة ، لا يحل ولا يحرم[1] .

قيل : أن أبا العاص لما أسلم رد عليه رسول الله ﷺ زينب ، فقيل : بالنكاح الأول . وقيل : ردها بنكاح جديد .

عن ابن عباس : أن النبى ﷺ رد زينب على أبى العاص بعد سنين بالنكاح الأول ، لم يحدث صداقا .

قال : وحدثنا الدولابى ، حدثنا ابراهيم بن يعقوب ، أخبرنا يزيد بن هارون عن الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله ﷺ رد زينب على أبى العاص بمهر جديد ونكاح جديد .

وتوفيت زينب بالمدينة فى السنة الثامنة ، ونزل رسول الله ﷺ فى قبرها وهو مهموم ومحزون ، فلما خرج سرى عنه وقال : « كنت ذكرت زينب وضعفها فسألت الله تعالى أن يخفف عنها ضيق القبر وغمه ، ففعل وهون عليها » . ثم توفى زوجها أبو العاص . (أخرجها الثلاثة)

---

(١) سيرة ابن هشام : ١/٦٥٢ .

١٨ - سفانة بنت حاتم

سفانة بنت حاتم الطائى . كان أبوها حاتم يكنى أبا سفانة .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس ، عن محمد بن اسحاق قال : أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم ، فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا طيئ ، فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه ـ وكانت امرأة جزلة ـ فقالت : يا رسول الله . هلك الوالد ، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك . قال : من وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى حتى مر بى ثلاثا فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه . فقمت فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك . قال : قد فعلت ، فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ، ثم آذنينى فسألت عن الرجل الذى أشار إلى ، فقيل : على بن أبى طالب . وقدم ركب من بلادى ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : قدم رهط من قومى . قالت : فكسانى رسولالله ﷺ وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت حتى قدمت الشام على أخى عدى بن حاتم ، فقلا لها عدى : ما ترين فى أمر هذا الرجل . قالت : أرى أن تلحق [1] به ، فقد رأيت هديا ورأيا ، سيغلب أهل الغلبة ، رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، وإنه لنبى ، فللسابق إيه فضله ، فأصغى « عدى » إلى رأى أخته ، وقدم على رسول الله مسلماً ، ومعه أخته مسلمة ايضاً .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٢ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠ .

١٩ - سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

سلمى خادم النبى ﷺ وهى مولاة صفية بنت عبد المطلب ، وهى امرأة أبى رافع ويقال : أنها أيضاً مولاة للنبى .

وكانت قابلة بنى فاطمـة بنت رسول الله ﷺ وقابلة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليـهم ، وهى التى غسلت فـاطمة مع زوجها على ومع اسماء بنت عميس . وشهدت خيبر مع رسول الله ﷺ ومن حديثهـا ما أخبرنا به اسمـاعيل بن على وابراهيم بن محمد وغيرهما ، قالوا بإسنادهم عن أبى عيسى قال :

حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا حماد بن خالد الخياط ، أخبرنا قائد مـولى لآل أبى رافع ، عن على بن عـبيد الله ، عـن جدته ـ وكانت تخدم النبى ﷺ ـ قـالت : ما كان يكون برسول الله ﷺ فرحة أو نكبة [١] إلا أمرنى أن أضع عليها الحناء .

وقد روى هذا عن عبيـد الله بن على . عن جدته سلمى ، قال الترمذى : عبيد الله بن على أصح [٢] .

عن هشام بن عـروة ، عن أبيه ، عن عـائشة قـالت : جاءت سلمى امـرأة [٣] أبى رافع مـولـى النبى ﷺ تستـــأذنه على أبى رافع ، وقالت : إنـــه يضربنى فقـال النبى ﷺ لأبى رافع : مالك ولهـا يا أبا رافع ؟ فقال : تؤذينى يا رسـول الله قال : بم آذيتــه يا سلمى ؟ قالت : يا رســول الله ما أذيتــه بشئ ، ولكنه أحدث وهو يصلى ، فقلـت له : يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد

---

(١) فى بعض الكتب (نكـتة) بالتـاء والصـواب عن تحـفة الأحـوذى (النكبـة) وهى ما يصيب الإنسان من الحوادث .

(٢) تحفة الأحوذى باب ما جاء فى التداوى بالحناء : ٦-٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) فى المسند : (مولاه رسول الله ـ ﷺ ـ او امراة ابى رافع) .

أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ . فقام يضربنى ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول : يا أبا رافع أنها لم تأمرك إلا بخير ، وقال : لا تضربها [1] .(أخرجها الثلاثة)

٢٠ - سمية أم عمار

سمية أم عمار بن ياسر. وهى سمية بنت خباط .

كانت أمه لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى ، وكان ياسر حليفا لأبى حزيفة ، فزوجه سمية ، فولدت له عمار ، فأعتقه أبو حذيفة . وكانت من السابقين إلى الإسلام ، قيل : كانت سابع سبعة فى الإسلام ، وكانت ممن يعذب فى الله عز وجل أشد العذاب .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس بن بكير ، عن ابن اسحاق قال : حدثنى رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم على الإسلام ، وهى تأبى غيره ، حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبونه بالابطح فى رمضاء مكة ، فيقول : صبرا آل ياسر موعدكم الجنة .

وروى أن أبا جهل طعنها فى قلبها بحربة فى يده فقتلها ، فهى أول شهيد فى الإسلام ، وكان قتلها قبل الهجرة ، وكانت ممن أظهر الإسلام بمكة فى أول الإسلام .

قال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وسمية . فأما رسول الله وأبو بكر فمنعهما قومهما ، وأما الآخرون فألبسوا أدراع الحديد ثم صهروا فى الشمس ، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها .

(١) مسند الإمام أحمد : ٦ / ٢٧٢ .

وقال ابن قتـيبة أن سمـية خلف عليها بـعد ياسر الأزرق ، وكان غلاما روميا للحـارث بن كلدة الثقفى ، فولدت له سلمة ، فهو أخو عمار لأمه [1] .

وهذا وهم منه فاحش ، فـإن الأزرق انما خلف على سمـية أم زياد ، فسلمـة ابن الأزرق أخو زياد لأمـه ، اشتبـه على ابن قتيبة سمية أم زياد بسمية أم عمار ، والله أعلم [2] .

٢١ - سودة بنت زمعة

سودة بنت زمـعة بن قـيس بن عبـد شمس بن عـبد ود بن نصر بن مالك بن حـسل بن عامر بن لؤى القرشيـة العامرية . وأمـها الشـمـوس بنت قـيس بن زيد بن عـمرو بن لـبيـد بن خداش[3] بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الانصارية .

وسودة هى زوج النـبى ﷺ ، تزوجها رسـول الله ﷺ بمكة بعد وفاة خـديجة قبل عائشة ، قاله عـقيل عن الزهرى ، وقاله قتادة وأبو عبيدة ، وابن اسحاق .

وقال عـبد الله بن محمـد بن عقيل : تزوجـها بعد عـائشة . ورواه يونس عن الـزهرى . وكـانت قـبـله تحت ابن عـمــهـا السكران بن عمـرو ، أخى سهيل بن عمرو ، من بـنى عامر بن لؤى ، وكان مـسلما فتوفى عنهـا ، فتزوجهـا رسول الله ﷺ . وكـانت امـرأة ثقـيلة ثبطة[4] وأسنت عند رسـول الله ﷺ ولم تصب منه ولدا إلى أن مات .

---

(١) المعارف لابن قتيبة : ٢٥٦ .

(٢) نبه ابو عمر فى الاستيعاب على هذا الخطا . انظر : ٤/١٨٦٣ ـ ١٨٦٤ .

(٣) فى بعض الكتب (خراش) والمثبت عن جمهرة انساب العرب لابن حزم : ١٦٧ واحدى نسخ الاسـتيـعاب ٤ ـ ١٨٦٧ وطبـقات ابن سـعد : ٨ ـ ٣٦ وكـتاب نسب قـريش لمصـعب الزبيرى : ٤٢٢ .

(٤) ثبطة : ثقلة .

وروى محمـد بن اسحاق ، عن حكيم بن حكيم ، عن مـحمد ابن على بن الحـسـين ، عن أبيـه قال : كـان جـميع مـا تزوج رسول الله ﷺ خمس عـشرة امرأة ، وكان أول امـرأة تزوجها بعد خديجة بنت خويلد سودة بنت زمعة .

أخبرنا غير واحد باسنادهم عن محمد بن عيسى .

عن ابن عباس قال : خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت : لا تطلـقنى وأمسكنى ، وأجعل يومى لعائشـة ، ففعل ، فنزلت : ﴿ فـلا جناح عليهـما أن يصـالحا[1] بينهمـا صلحا ، والصلح خير ﴾ فما اصطلحا عليه من شئ فهو جائز [2] .

عن سودة بنت زمـعة قالت : جـاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن أبى شيخ كبير لا يستطيع أن يحج ؟ قال : أرأيت لو كان على أبيك دين فقـضيته عنه قـبل منك ؟ قال : نعم . قال : فالله أرحم ، حج عن أبيك [3] .

وتوفيت سودة اخر خلافة عمر . (اخرجها الثلاثة)

٢٢ - سيرين أخت مارية القبطية

سيرين ، أخت مارية القبطية .

أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية إلى النبى ﷺ فتسرى النبى مـــارية ، وهى أم أبـنه ابراهيم عليـــه الســـلام . ووهب سيرين لحسان بن ثابت ، فهى أم ابنه عبد الرحمن بن حسان .

روى عنها ابنهـا عبد الرحـمن . أنها قالت : حـضر ابراهيم ابن النبى ﷺ المـوت فـرأيت رسـول الله ﷺ كلمـا صـحت أنا

---

(١) هذه قراءة ثابتة فى السبعة ، انظر البحر المحيط : ٣ - ٣٦٣ .

(٢) تحـفة الاحـوذى ، تفسـير سـورة النساء : ٨ - ٤٠٣ - ٤٠٥ وقـال الترمـذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب » . وانظر تفسـير ابن كثير ، عند الآية ١٢٨ من سورة النساء ٢ - ٣٧٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٦ - ٤٢٩ .

وأختى ، نهانا عن الصياح ، وغسله الفضل بن العباس ، ورسول الله والعباس على سرير ، ثم حمل فرأيته جالسا على شفير القبر ، ونزل فى قبره الفضل والعباس وأسامة وكسفت الشمس يومئذ ، فقال الناس : كسفت لموت ابراهيم ! فقال رسول الله ﷺ : لا تكسف لموت أحد ولا لحياته . ورأى رسول الله ﷺ فرجة فى قبر ابراهيم فأمر بها فسدت ، وقال : أنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تقر عين الحى ، وأن العبد إذا عمل شيئا أحب الله منه أن يتقنه . (أخرجها الثالثة)

٢٣ - الشفاء بنت عبد الله

الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن سداد بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشية العدوية أم سليمان بن أبى حثمة . قيل : أسمها ليلى .

أسلمت قديما ، وهى من المبايعات ، ومن المهاجرات الأول. وأمها فاطمة بنت أبى وهب[1] بن عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم . وكانت من عقلاء النساء وفضالتهن ، وكان رسول الله ﷺ يقيل عندها . واتخذت له فراشا وازاراً ينام فيه ، فلم يزل كذلك عندها حتى أخذه منهم مروان . وكان ترقى من النملة . فأمرها رسول الله ﷺ أن تعلمها حفصة . وأقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الحكاكين ، فنزلتها مع ابنها سليمان. وكان عمر رضى الله عنه يقدمها فى الرأى ويرضاها .

روى عنها أبو بكر وعثمان ابنا سليمان بن أبى حثمة .

أخبرنا أبو ياسر باسناده عن عبد الله بن أحمد عن الشفاء

(١) فى طبقات ابن سعد ٨ ـ ١٩٦ : (بنت وهب) والصواب ما هنا . انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٣٦٨ .

بنت عبد الله ـ وكانت امرأة من المهاجرات ـ قالت : « إن رسول الله ﷺ سل عن أفضل الأعمال فقال : « ايمان بالله ، وجهاد فى سبيله ، وحج مبرور »[1] .

وروى الأوزاعى ، عن الزهرى ، عن أم سلمة و عن الشفاء بنت عبد الله قالت أتيت رسول الله ﷺ أساله ، فجعل يعتذر إلى وأنا ألومه ، قالت : فحضرت الصلاة فخرجت فدخلت على ابنتى وهى تحت شرحبيل بن حسنة ، فوجدت شرحبيلا فى البيت وأقول : قد حضرت الصلاة وأنت فى البيت ! وجعلت ألومه ، فقال : يا خاله ، لا تلومينى ، فإنه كان لنا ثوب ، فاستعاره رسول الله ﷺ فقلت : بأبى وأمى أنى كنت ألومه وهذه حاله ولا أشعر ! قال شرحبيل : ما كان إلا درعا رقعناه[2] .

وروى عثمان بن سليمان بن أبى حثمة ، عن الشفاء بنت عبد الله أنها كانت ترقى فى الجاهلية ، وأنها لما هاجرت إلى النبى ﷺ ـ وكانت قد بايعته بمكة قبل أن يخرج ـ فقدمت عليه، فقالت : يا رسول الله ، انى كنت أرقى برقى فى الجاهلية، وأنى اردت أن أعرضها عليك . قال فاعرضيها ، فعرضتها ـ وكانت منها رقية النملة ـ فقال : ارقى بها ، وعلميها حفصة ، باسم الله صلوا صلب جبر تعوذا[3] من أفواهها ، فلا تضر أحدا ، اللهم اكشف البأس رب الناس . قال : ترقى بها على عود كركم[4] سبع مرار وتضعه مكانا نظيفا ، ثم تدلكه على

---

(١) مسند الامام احمد : ٦ ـ ٣٧٢ .

(٢) اخرجه ابن ابى عاصم ، انظر الاصابة : ٤ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٣) كذا ومثله فى الاستيعاب : ٤ ـ ١٨٦٩ ، ولا ندرى ما معناه . وفى المصورة : «صلق صلب حبر » وعلى هامشها (خصلوا) ا.هـ نقلا عن أسد الغابة ـ مطابع دار الشعب

(٤) الكركم : الزعفران .

حجر بخل خمر ثقيف ، وتطليه على النملة .(أخرجها الثلاثة)

وقد ثبت فى كتب السنة أنه ﷺ كان يرقى المريض بآيات من القرآن . ومن ذلك سورة الفاتحة ، وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، والآيتان الأخيرتان من سورة البقرة ، والآيات الأخيرة من سورة الحشر . وقوله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ . وفى السنة أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يرقى المريض بهذا الدعاء « أذهب الباس رب الناس ، واشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » .

٢٤ - صفية بنت حيى بن أخطب

صفية بنت حيى بن أخطب بن سعية [١] بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن الخروج بن أبى حبيب بن النضير بن النحام بن ناخوم ـ وقيل : ينحوم وقيل : تخوم [٢] . والأول قاله اليهود ، وهم أعلم بلسانهم ، وهم من بنى اسرائيل من سبط لازوى ابن يعقوب ، ثم من ولد هارون بن عمران ، أخى موسى صلى الله عليهم . وأم صفية برة بنت سموأل : وكانت زوج سلام بن مشكم اليهودى ، ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق، وهما شاعران ، فقتل عنها كنانة يوم خيبر.

روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر وجمع السبى ، أتاه دحية بن خليفة فقال : أعطنى جارية من السبى . قال : اذهب فخذ جارية . فذهب فأخذ صفية . قيل : يا رسول

---

(١) فى بعض النسخ (سعنة) والمثبت عن طبقات ابن سعد : ٨ـ٨٥ ، والمعارف لابن قتيبة : ١٣٨ .

(٢) كذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها (نحوم) بالحاء . وفى طبقات ابن سعد والمعارف (ينحوم) .

الله ، أنها سيدة قريظة والنضير ، ما تصلح إلا لك . فقال له رسول الله ﷺ : خذ جارية من السبى غيرها ، وأخذها رسول الله ﷺ واصطفاها ، وحجبها وأعتقها وتزوجها ، وقسم لها . وكانت عاقلة من عقلاء النساء .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس عن ابن اسحاق قال : حدثنى والدى اسحاق بن يسار قال : لما افتتح رسول الله ﷺ القموص ـ حصن ابن أبى الحقيق ـ أتى بصفية بنت حيى ، ومعها ابنة عم لها ، جاء بهما بلال ، فمر بهما على قتلى من يهود، فلما رأتهم التى مع صفية صكت وجهها وصاحت ، وحثت التراب على رأسها فقال رسول الله ﷺ : أغربوا [1] هذه الشيطانة عنى ، وأمر رسول الله ﷺ بصفية فحيزت خلفه ، وغطى عليها ثوبه . فعرف الناس أنه قد اصطفاها لنفسه ، فقال رسول الله ﷺ لبلال حين رأى من اليهودية ما رأى : يا بلال انزعت منك الرحمة حتى تمر بامرأتين على قتلاهما ؟! وقد كانت صفية قبل ذلك رأت أن قمرا وقع فى حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها ، فضرب وجهها ضربة أثرت فيه ، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكونى عند ملك العرب ! فلم يزل الأثر فى وجهها حتى اتى بها رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فأخبرته الخبر[2] .

أخبرنا غير واحد باسنادهم عن أبى عيسى ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ أعتق صفية ، وجعل عتقها صداقها [3] .

---

(١) كذا فى بعض النسخ بالغين والراء المهملة وفى سيرة ابن هشام : (اغربوا) بالزاى والعين المهملة . وفى اللسان : (والغرب) : الذهاب والتنحى عن الناس . وقد غرب عنا يغرب غرباً ـ بالتضعيف ـ واغرب وغروبة واغربه : نحاه . .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٣٣٦ .

(٣) تحفة الأحوذى ، ابواب النكاح ، باب (ما جاء فى الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها) الحديث : ١١٢٣ جـ ٤ ـ ٢٧٥ .

وحدثتنا صفية بنت حيي قالت : دخل على رسول الله ﷺ وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى ؟! وكان بلغها أنهما قالتا : نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها ، نحن أزواج رسول الله ﷺ وبنات عمه[1] .

عن صفية بنت حيي : أن النبي ﷺ حج بنسائه ، فلما كان ببعض الطريق[2] برك بصفية جملها ، فبكت وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك ، فجعل يمسح دموعها بيده ، وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها ، فنزل رسول الله ﷺ بالناس ، فلما كان عند الزواج قال لزينب بنت جحش : يا زينب أفقري[3] أختك جملا ـ وكانت من أكثرهن ظهرا قالت : أنا أفقر يهوديتك؟ فغضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها ، فلم يكلمها حتى قدم مكة ، وأيام منى في سفره حتى رجع إلى المدينة ، ومحرم وصفر ، فلم يأتها ولم يقسم لها ، ويئست منه ، فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها ، فلما رأت ظله قالت : هذا ظل رجل ، وما يدخل على رسول الله ﷺ فدخل النبي ﷺ ، فلما رأته قالت : يا رسول الله، ما أصنع ؟ قالت[4] : وكانت لها جارية تخبؤها من النبي ﷺ ـ فقالت : فلانة لك . قال : فمشى النبي ﷺ إلى سرير صفية . وكان قد رفع ، فوضعه بيده[5] ، ورضي عن أهله[6] .

---

(1) تحفة الأحوذي : أبواب المناقب ، باب : في فضل أزواج النبي ﷺ . الحديث ٣٩٨٣: ١٠ ـ ٣٩١ ـ ٣٩٢ .

(2) لختصر ابن الأثير لفظ هذا الحديث .

(3) في بعض النسخ (اقرى) والصواب ما اثبتناه . وافقره بعيره : اعاره إياه .

(4) في بعض النسخ : (قال) والمثبت عن المسند .

(5) لفظ المسند : (فوضعه بيده ثم أصاب أهله ، ورضي عنهم) .

(6) مسند الإمام أحمد : ٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

وروى عنهـا على بن الحـسين قـالت : جـئت إلى النبى ﷺ أتحدث عنده ، وكـان معتكفا فى المـسجد ، فقـام معى يبلغنى بيتى ، فلقـيه رجلان من الأنـصار قالت : فلمـا رأيا رسول الله ﷺ رجعـا ، فقال : تعـاليا فإنـها صفـية . فقـالا : نعوذ بالله ! يارسول الله . فـقال : إن الشيطـان ليجرى من ابن ادم مـجرى الدم[١] .

وتوفيت سنة ست وثلاثين . وقيل سنة خمسين .

(أخرجها الثلاثة)

٢٥ - صفية بنت عبد المطلب

صفـية بنت عبد المطلب بـن هاشم بن عبد مناف القرشـية الهاشمية عمـة رسول الله ﷺ وهى أم الزبير بن العوام ، وأمها هالة بنت وهيب بن عبـد مناف بن زهرة ، وهى شقيقـة حمزة والمقوم وحجل بنى عبد المطلب[٢] .

لم يختلف فى اسـلامها من عمـات النبى ﷺ ، واختلف فى عـاتكة وأروى ، والصـحـيح أنه لم يسلم غـيـرها ، كـانت فى الجاهلية قد تزوجها الحـارث بن حرب بن أمية بن عبدشمس ، أخو أبى سـفيان بن حـرب فمات عنها ، فـتزوجهـا العوام بن خويلد ، فـولدت له الزبير[٣] : وعبد الـكعبة ، وعاشت كـثيراً ، وتوفيت سنة عشرين فى خلافـة عمر بن الخطاب ، ولها ثلاث وسبـعون سنة . ودفنت بالبـقيع . وقـيل : أن العوام تزوجـها

---

(١) مسند الإمام احمد : ٦ ـ ٣٣٧ .

(٢) كتاب نسب قريش : ١٧ .

(٣) فى الاستـيعـاب ٤ ـ ١٨٢٣ : « الزبير ، والسائـب ، وعبد الكعـبة » . وانظر كـتاب نسب قريش : ٢٠ .

أولا ، وليس بشئ . قاله أبو عمر ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجدا شديدا ، وصبرت صبرا عظيما .

أخبرنا أبوجعفر باسناده عن يونس ، عن ابن اسحاق قال : حدثنى الزهرى وغيره من علمائنا ، عن يوم أحد وقتل حمزة ، قال : فأقبلت صفية بنت عبدالمطلب لتنظر إلى حمزة بأحد . وكان أخاها لأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير : ألقها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير وقال : أى أمه ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم ، فقد بلغنى أنه مثل بأخى ، وذاك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إليه فأخبره قول صفية قال : خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه واسترجعت[1]، واستغفرت له ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن[2].

قال وحدثنا ابن إسحاق قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى قاع ـ حسن حسان بن ثابت ، يعنى فى وقعة الخندق ـ قالت : وكان حسان معنا فى الحصن مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله ﷺ ، قالت صفية : فمر بنا رجل يهودى فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها[3] وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت ، قالت : فقلت : يا حسان ، أن هذا اليهودى يطوف بالحصن كما ترى ، ولا آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، فأنزل إليه فاقتله ، فقال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت

(١) اى قالت (إنا لله وإنا إليه راجعون) .
(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٩٧ .
(٣) فى بعض النسخ (بيننا) والمثبت عن سيرة ابن هشام .

ما انا بصاحب هذا ! قالت صفـية : فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيـئا ، احتـجزت[1] وأخذت عـمودا ونزلت من الحـصن إليه ، فضربـته بالعمود حـتى قتلته ، ثم رجعت إلى الحـصن فقلت : يا حسان ، انزل فأسْلبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل. فقال : ما لى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب[2] .

قال يونس : وحدثنا هشام بن عـروة ، عن أبيه ، عن صفية بنت عـبد المطلب ، مـثله ونحوه ، وزاد فـيه : وهى أول امـرأة قتلت رجلا من المشركين . (أخرجها الثلاثة)

٣٦ - عاتكة بنت زيد

عاتكة بنت زيد بن عـمرو بن نفيل القرشـية العدوية . وهى ابنة عم عمر بن الخطاب ، يجتمعان فى نفيل .

كانت من المهاجرات إلى المـدينة ، وكانت امرأة عبد الله بن أبى بكر الصديق ، وكانت حـسناء جميلة ، فأحبهـا حبا شديدا حتى غـلبت عليه وشـغلته عن مـغازية وغـيرها ، فـأمره أبوه بطلاقها ، فقال[3] :

يقولون : طلقهـا وخيم مكانها   مقيـما ، تمنى النفس أحلام نائم
وإن فراقى أهل بيت[4] جمعتهم   على كبر[5] منى لاحدى العظائم
أرانى وأهلى كالعـجول[6] تروحت   إلى بوها قبـل العـشار الروائم

(١) اى : شددت وسطى .
(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٢٢٨ .
(٣) الأبيات فى كـتاب نسب قريش : ٢٧٧ ، والاسـتيعـاب : ٤ ـ ١٨٧٧ ، والاصابة ٤ ـ ٣٤٦ .
(٤) فى الأصول : جمـيعهم . والمثبت عن كتـاب نسب قريش والاصابة ، وبعض نسخ الاستيعاب .
(٥) فى بعض النسخ : (على كره) . والمثبت عن كتاب نسب قريش .
(٦) فى الاصل : (تزوجت) . والمـثبت عن نسخـة مصـورة . والعـجول من النسـاء والابل : التى فقدت والدها لعجلتها فى جيئها وذاهبها جزعا .

فعزم عليه أبوه حتى طلقها ، فتبعتها نفسه، فسمعه أبو بكر يوما وهو يقول :

أعاتك لاأنساك ماذر شارق[1] وماناح قمرى[2] الحمام المطوق
عـاتك ، قلبى كل يوم وليلة اليـك بما تخـفى النفـوس مـعلق
ولم أر مثلى طـلق اليوم مثلهـا ولا مثلهـا فى غير جـرم تطلق
لها خلق جزل ، ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحـياء ومصدق

فرق له أبوه وأمره فارتجعهـا ، ثم شـهد عبد الله الطائف مع رسول الله ﷺ ، فرمى بسـهم فمات منه بالمدينة ، فقالت عاتكة ترثيه :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد ابى بكر،وما كان قصرا[3]
فـاليت لاتنفـك عـينى حـزينة عليك ، ولا ينـفك جلدى أغـبـرا
فلله عينا من رأى مـثله فتى أكر وأحمى فى الهيـاج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فتزوجها زيد بن الخطاب . وقيل : لم يتزوجها ، وقتل عنها يوم اليمـامة شـهيدا ، فـتزوجـها عمـر بن الخطاب سنة اثنتى عشـرة ، أو لم عليها ، فـدعا جمـعا فيـهم على بن أبى طالب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنـى أكلم عاتكة . قال : افعل فأخذ بجانبى الباب وقال : يا عدية نفسها . أين قولك :

فآليت لا تنفك عينى حزينة عليك ، ولا ينفك جلدى أغبرا

فبكـت ، فقال عـمر : مـا دعاك إلى هذا يا أبا الحـسن ؟ كل النساء يفـعلن هذا فقال : قال الله تعـالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا، لم تقـولون مالا تفـعلون . كبـر مقتـا عند الله أن تقولـوا ما لا تفعلون ﴾ فقتل عنها عمر ، فقالت ترثيه :

(١) ذرت الشمس : طلعت .
(٢) القمرى ـ بضم القاف ـ : طائر يشبه الحمام .
(٣) الأبيات فى طبقات ابن سعد : ٨ ـ ١٩٤ ، وكتاب نسب قريش : ٢٧٧ .

عين ، جودى بعبرة ونحيب   لاتملى على الامام النجيب
قل لأهل الضراء والبؤس : موتوا   قد سقته المنون كاس شعوب[1]

ثم تزوجها الزبير بن العوام ، فقتل عنها . فقالت ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة[2]   يوم اللقاء وكان غير معرد[3]
يا عمرو ، لو نبهته لوجدته   لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه   عنها طرادك يا ابن فقع القردد[4]
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله   ممن مضى، ممن يروح ويغتدى
والله ربك إن قتلت لمسلما   حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها على بن أبى طالب ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، انت بقية الناس وسيد المرسلين ، وانى انفس بك عن الموت ، فلم يتزوجها ، وكانت تحضر صلاة الجماعة فى المسجد ، فلما خطبها عمر شرطت عليه أنه لا يمنعها عن المسجد ولا يضربها ، فأجابها على كره منه ، فلما خطبها الزبير ذكرت له ذلك ، فأجابها إليه أيضا . فلما أرادت الخروج إلى المسجد للعشاء الآخرة شق ذلك عليه ولم يمنعها ، فلما عيل صبره خرج ليلة إلى العشاء وسبقها ، وقعد لها على الطريق بحيث لا تراه ، فلما مرت ضرب بيده على عجزها ، فنفرت من ذلك ولم تخرج بعد.

(أخرجها الثلاثة)

---

(١) الشعوب: المنية .
(٢) البهمة : واحدة البهم ـ بضم ففتح ـ وهى : معضلات الأمور .
(٣) عرد الرجل تعريداً : فر .
(٤) الفقع : ضرب من أردا الكماة ـ وهى نبات يخرج دون غرس ـ والقردد : أرض مرتفعة إلى جنب وهذه . وقال ابو حنيفة : الفقع يطلع من الأرض فيظهر ابيض ، وهو ردئ ، والجيد ما حفر عنه واستخرج . ويشبه به الرجل الذليل ، لان الدواب تنجله بارجلها.

٢٧ - عاتكة بنت عبد المطلب

عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ . اختلف فى اسلامها ، فقال ابن اسحاق وجماعة من العلماء لم يسلم من عمات النبى ﷺ غير صفية . وكانت عاتكة عند أبى أمية بن المغيرة المخزومى أبى أم سلمة ، وهى أم ابنة عبد الله بن أبى أمية ، وأم زهير وقريبة[1] . روت عنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وغيرها .

عن عروة بن الزبير قال : رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم - قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفارى على قريش مكة بثلاث ليال - رؤيا ، فاصبحت عاتكة فبعثت إلى أخيها العباس فقالت : يا أخى ، لقد رأيت الليلة رؤيا : ليدخلن على قومك منها شر وبلاء ! فقال : وما هى ؟ فقالت : رأيت فيما يرى النائم رجلا اقبل على بعير له فوقف بالأبطح ، فقال : « انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث » . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم أرى بعيره دخل به المسجد ، واجتمع الناس إليه ، ثم مثل[2] به بعيرة ، فاذا هو على رأس الكعبة فقال : « انفروا يا آل غدر ، لمصارعكم فى ثلاث » ثم أرى بعيره مثل به على رأس ابى قبيس فقال : « انفروا يا آل غدر ، لمصارعكم فى ثلاث » . ثم اخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل ، فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت فى أسفله ارفاضت[3] فما بقيت دار من دور قومك ، ولا بيت إلا دخل فيها بعضها . فقال العباس : اكتميها . قالت : وأنت فاكتمها .

---

(١) كتاب نسب قريش : ١٨ . (٢) اى : قام به .
(٣) اى : تفتت .

فخرج العباس من عندها فلقى الوليد بن عتبة ـ وكان له صديقا ـ فذكرها له واستكتمه اياها ، فذكرها الوليد لأبيه ، فتحدث بها ، ففشا الحديث فقال العباس : والله انى لغاد إلى الكعبة لأطوف بها ، فاذا أبو جهل فى نفر يتحدثون عن رؤيا عاتكة ، فقال أبو جهل : يا أبا الفضل متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ فقلت : وما ذاك ؟ قال : رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأت نساؤكم ؟ سنتربص بكم الثلاث التى ذكرت عاتكة ، فإن كان حقا فسيكون ، وإلا كتبنا عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت فى العرب ! فأنكرت وقلت : ما رأت شيئا . فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقلن : صبرتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء ، وانت تسمع ، فلم يكن عندك غيرة ؟ فقلت : قد ـ والله ـ صدقتن . ولأتعرضن له ، فان عاد لأكفينكه . فغدوت فى اليوم الثالث اتعرض له ليقول شيئا أشاتمه ، فو الله انى لمقبل نحوه إذ ولى نحو باب المسجد أشتد(١) . فقلت فى نفسى : اللهم العنة ، اكل هذا فرقا ان اشاتمه ! وإذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو واقف على بعيره بالابطح ، حتى حول رحله ، وشق قميصه وجذع (٢) بعيره ، يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة (٣) ، أموالكم مع ابى سفيان ، قد عرض لها محمد وأصحابه ، الغوث الغوث فشغله ذلك عنى ، وشغلنى عنه ، فلم يكن إلا الجهاز ، حتى خرجنا إلى بدر ، فأصاب

---

(١) أى : يسرع . (٢) أى قطع أنفه .
(٣) اللطيمة : الابل التى تحمل البز والطيب .

قريشا ما أصابها ببدر وصدق الله سبحانه وتعالى رؤيا عاتكة[1] .

(أخرجها الثلاثة)

٢٨ - فاطمة بنت أسد

فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، ام على بن أبى طالب . وام اخواته طالب وعقيل وجعفر . قيل : انها توفيت قبل الهجرة وليس بشئ ، والصحيح انها هاجرت إلى المدينة ، وتفيت بها .

قال الشعبى : أم على فاطمة بنت أسد ، اسلمت وهاجرت إلى المدينة ، وتوفيت بها [2] .

وروى الأعمش : عن عمرو بن مرة ، عن ابى البحترى ، عن على قال : قلت لأمى فاطمة بنت أسد : أكفى فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب فى الحاجة ، وتكفيك الداخل : الطحن والعجن .

وهذا يدل على هجرتها،لأن عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة .

قال الزهرى : هى أول هاشمية ولدت لها شمى ، وهى أيضاً أول هاشمية ولدت خليفة ، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولدت الحسن ، ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الأمين ، لا نعلم غيرهن . ثم ان هؤلاء الثلاثة لم تصف فهم الخلافة ، فأما على فانه كان من اضطراب الأمور عليه إلى أن قتل ، ما هو مشهور ، واما الحسن والأمين فخلعا .

عن عبد الله بن محمد بن عمر بنّ على ، عن ابيه : أن رسول

(١) سيرة ابن هشام : ١ - ٦٠٧ - ٦٠٩ . وانظر طبقات ابن سعد : ٨ - ٢٩ - ٣٠ .

(٢) الاستيعاب : ٤ - ١٨٩١ .

الله ﷺ كفن فاطمة بنت أسد فى قميصه ، واضطجع فى قبرها وجزاها خيرا .

وروى عن ابن عباس نحو هذا ، وزاد ، « فقالوا : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهـذه ! قال : أنه لم يكن بعد أبى طالب أبر بى منهـا ، إنما البسـتها قـميـصى لتكسى من حلل الجنة ، واضطحجعت فى قبرها ليهون عليها عذاب القبر .

قال الزبير : انقرض ولد اسـد بن هاشم إلا من ابنته فاطمة بنت أسد(١) .

(أخرجها الثلاثة)

٢٩ - فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاطمـة بنت رسـول الله ﷺ ، سيدة نـساء العالمين ، مـاعدا مريم بنت عمران صلى الله عليهمـا . امها خديجة بنت خويلد . وكانت هى وأم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ .

وقـد اخـتلف : فى أيتـهن أصـغر سنـا ؟ وقيل : أن رقـيـة أصغـرهن وفيه عندى نظر ، لأن النبى ﷺ زوج رقـية من ابن أبى لهب ، فطلقـهـا قـبل الدخـول بهـا ، أمـره أبواه بذلك ، ثم تزوجها عثمان رضى الله عنه وهاجرت مـعه إلى الحبشة ، فما كان ليزوج الصـغرى ويترك الكبرى . وكانـت فاطمة تكنى أم أبيها ، وكانت أحب النـاس إلى رسول الله ﷺ وزوجها من على بعـد أحد. وقـيل : تزوجهـا على بعد أن ابنتى رسـول الله ﷺ بعائشـة بأربعة أشهـر ونصف ، وابنتى بها بعد تزويجـه أيها بسبعة أشهر ونصف ، وكان سنـها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشـهر فى قول . وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ١٦ .

منها ، فـان الذكور من أولاده ماتـوا صغارا ، وأمـا البنات فان رقية رضى الله عنها ولدت عـبد الله بن عثمان فتـوفى صغيرا ، وأما أم كلثوم فلم تلد(١) . وأما زينب رضى الله عنها فولت عليا ومات صبيا ، وولدت امامه بنت ابى العاص فتزوجها على ، ثم بعده المغيره بن نوفل وقال الزبير : انقرض عقب زينب(٢) .

عن ابى اسحاق ، عن الحارث ، عن على قال : خطب ابو بكر وعمر ـ يعنى فاطمـة إلى رسول الله ﷺ ، فأبى رسول الله ﷺ عليهما ، فقال عمـر ! فو الله لقد انكحك أكثرهم علما ، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما .

عن على بن أبى طالب قـال : خطبت فـاطمة إلى رسـول الله ﷺ فـقـالت لى مـولاة لى . هل علمـت أن فـاطمـة خطبت إلى رسـول الله ﷺ قلت : لا . قالت : فـقد خـطبت ، فمـا يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك . فقلت : وعندى شئ أتزوج به ؟ فـقلت : انك ان جـئت رسـول الله ﷺ زوجك . فـوالله مـازالت ترجينى حـتى دخلت على رسول الله ﷺ ـ وكـانت لرسول الله ﷺ جـلالة وهيـبة ـ فلمـا قـعـدت بين يديه أفـحمت ، فـو الله ما أستطيع أن اتكلم ، فقال : ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فـاطمة ؟ قلت : نعم . قال : هل عندك من شئ تستحلها به ؟ فـقلت : لا ، والله يا رسول الله فقال : ما فعلت بالدرع الـتى سلحتكها ؟ فـقلت : عندى والذى نفس على

(١) فى الأصول : (لم تلد) فزدنا الفاء ليستقيم السياق .
(٢) انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٢٢ .

بيده انها لحطمية[1] ، ثمنها أربعمائة درهم . قال : قد زوجتك ، فابعث بها ، فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ [2]

وعن ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ليلة البناء - يعنى بفاطمة - يا على : لاتحدثن شيئا حتى تلقانى . فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ، ثم أفرغه على على وقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما ، وبارك لهما فى نسلهما.

قال ابن اسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غيرة شديدة ، كان لا ينكح بناته على ضرة.

عن المسور بن مخرمة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، إلا أن يريد على بن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فانها بضعة منى ، يريبنى ما رابها ، ويؤذينى ما آذاها [3] .

عن عطاء بن يسار ، عن أم سلمة قالت : فى بيتى نزلت : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ ، قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلى والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهلى . قالت : فقلت : يا رسول الله أفما أنا من أهل البيت ؟ قال : بلى ، إن شاء الله عز وجل .

---

(١) الحطمية بضم الحاء وفتح الطاء - التى تحطم السيوف . وقيل : هى العريضة الثقيلة قيل : هى منسوبة إلى بطن من عبد القيس . يقال لهم : حطمة بن محارب ، كانوا يعملون والدروع . يقول ابن الأثير فى النهاية : وهذا أشبه الأقوال .

(٢) انظر طبقات ابن سعد : ٨ - ١٢ - ١٣ .

(٣) تحفة الأحوذى ، ابواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فاطمة رضى الله عنها » الحديث ٣٦٥٩ ، ١٠ - ٣٦٩ - ٣٧٠ وقال الترمذى ، هذا حديث صحيح .

قال أبو صــالح : قال الحــاكم فى المســتدرك ، عن الأصم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (١) .

عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ كان يمـر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصــلاة الفجر ، يقول : الصلاة يا أهل بيت مـحـمد ، ﴿ إنـما يريـد الله ليذهـب عنكم الرجس أهل البـيت ، ويطهركم تطهيرا ﴾ (٢) .

عن عائشة قالت : أقبلت فاطمة تمشى ، كـأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فقال : مرحبـا يا بنتى . ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر اليها حديثـا فبكت ، ثم اسر اليها حديثا فضـحكت ، فقـلت : ما رأيت كـاليوم فـرحا أقرب مـن حزن . فسألتها عما قــال ، فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ فلما قبض ســألتها ، فأخـبرتنى أنه سر إلى فقــال : أن جبريل كان يعـارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة وانه عـارضنى العام مرتين، ومــا أراه إلا وقد حضر أجلى ، وانك أول أهلى لحــوقا بى ، ونعم الســلف أنا لك ، فــبكيت ، فـــقــال : ألا ترضــين أن تكونى سيدة نساء العالمين .

قــال أبو صــالح : رواه البـخـارى فى الصــحــيح (٣) ، عن أبى نعـيم . وهذا من غريب الـصحـيح ، فان زكـريا روى عن الشعبى أحاديث فى الصحــيحين ، وهذا يرويه عن فراس ، عن الشعبى .

---

(١) المستدرك : مناقب أهل البيت : ٣ ـ ١٤٦ .

(٢) أخرجـه الإمام أحمد والترمذى من حديث حماد ، انظر تحفـة الأحوذى ، تفسير سورة الأحزاب ، الحديث ٣٢٥٩ ، ٩ ـ ٦٧ ـ ٦٨ . وتفسير ابن كثير ، عند الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب : ٦ ـ ٤٠٧ .

(٣) البخارى ، كتاب المناقب : ٤ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

عن جميع بن عمير التيمى قال : دخلت مع عمى على عائشة، فسألت : أى الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت فاطمة . قيل : من الرجل ؟ قالت : زوجها ، إن كان ـ ما علمت ـ صواما قواما [١] .

عن ابن أبى نجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عن على بن أبى طالب يقول : سألت رسول الله ﷺ فقلت : أينا أحب إليك انا أو فاطمة ؟ قال : فاطمة أحب إلى منك ، وأنت أعز على منها.

عن ابن عباس : أن النبى ﷺ قال لفاطمة : « أن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . »

عن على : أن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة .

عن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ فسارها بشئ فبكت ثم سارها بشئ فضحكت ، فسألتها عنه فقالت : أخبرنى أنه مقبوض فى هذه السنة فبكيت ، فقال : ما يسرك أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة ، إلا فلانة ، فضحكت .

عن على قال : دخل على رسول الله ﷺ وأنا نائم[٢] ، فاستسقى الحسن أو الحسين ، قال : فقام النبى ﷺ إلى شاة لنا بكئ[٣] فحلبها ، فدرت ، فجاء الحسن فنحاه النبى ﷺ فقالت فاطمة : يا رسول الله ، كأنه أحبهما اليك ؟ قال : لا ، ولكنه استسقى قبله . ثم قال : انا واياك وهذين وهذا الراقد فى مكان واحد يوم القيامة[٤] .

---

(١) تحفة الأحوذى ، أبواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فاطمة رضى الله عنها » الحديث ٣٩٦٥ : ١٠ ـ ٣٧٥ .

(٢) فى المسند : « وأنا نائم على المنامة » .

(٣) أى : قليلة اللبن .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١ ـ ١٠١ .

عن زيد بن أرقم : أن رســول الله ﷺ قــال : لعلى وفــاطمــة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربتم ، وسلم لمن سالم[1].

عن على قــال : سمعــت رسول الله ﷺ يقول : إذا كــان يوم القـيامــة نادى مناد من وراء الحـجاب : يا أهل الجـمع غضــوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر .

عن فاطمة بنت الحسين بن على ، عن جدتها فاطمة الكبرى. هى بنت رســول الله ﷺ ـ قالت : كــان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محـمد وسلم ثم قال : رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وإذا خـرج صلى على محمد وسلم ثم قال : ربى اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك [2] .

هذا الحديث ليس اسناده بمتصل ، فان فاطمة بنت الحسين لم تدرك جدتها فاطمة الكبرى ، والله أعلم [3] .

وتوفيت فاطمة بعد رســول الله ﷺ بستة أشهر . هذا أصح ما قيل وقيل : بثلاثة أشهر . وقيل : عاشت بعده سبعين يوما. وما رؤيت ضــاحكة بعد وفــاة رسول الله ﷺ حتى لـحقت بالله عز وجل ، ووجدت [3] عليه وجدا عظيما .

قال أنس : قالت لى فاطمة : يا أنس ، كيف طابت قلوبكم ؟! تحثون التراب على رسول الله ﷺ ؟

وكــانت أول أهله حلوقــا بــه ، تصــديقــا لقــوله ﷺ . ولمــا حضرها المـوت قالت لأسماء بنت عميس : يا اســماء ، انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء ، يطرح على المرأة الثوب فيصفها.

---

(١) تحفة الأحـوذى ، أبواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فـاطمة رضى الله عنها » الحديث ٣٩٦٢ : ١٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

(٢) مسند الإمام احمد : ٦ ـ ٢٨٢ .

(٣) اى : حزنت .

قالت أسماء يا ابنة رسول الله ﷺ الا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ، ثم طرحت عليها ثوبا . فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ! فإذا أنامت فاغسليني أنت وعلى ، ولا تدخلى على أحدا . فلما توفيت جاءت عائشة ، فمنعتها أسماء فشكتها عائشة إلى أبى بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ ! فوقف أبو بكر على الباب وقال : يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبى ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ ، وقد صنعت لها هودجا ؟ قالت هى أمرتنى ألا يدخل عليها أحد ، وأمرتنى أن أصنع لها ذلك . قال : فاصنعى ما أمرتك . وغسلها على وأسماء[1].

وهى أول من غطى نعشها فى الإسلام ، ثم بعدها زينب بنت جحش . وصلى عليها على بن أبى طالب . وقيل : صلى عليها العباس . وأوصت أن تدفن ليلا ففعل ذلك بها . ونزل فى قبرها على والعباس ، والفضل بن العباس .

قيل : توفيت لثلاث خلون من رمضان سنة احدى عشرة ، والله أعلم . وكان عمرها تسعا وعشرين سنة .

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن [2] بن على : كان عمرها ثلاثين سنة . وقال الكلبى : كان عمرها خمسا وثلاثين سنة .

وقد روى أنها اغتسلت لما حضرها الموت وتكفنت ، وأمرت عليا أن لا يكشفها إذا توفيت ، وأن يدرجها [3] فى ثيابها كما هى ، ويدفنها ليلا . والصحيح أن عليا وأسماء غسلاها والله أعلم . (أخرجها الثلاثة)

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : ٤ ـ ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨ .
(٢) فى الأصل (الحسن بن الحسين) . والمثبت عن الاستيعاب : ٤ ـ ١٨٩٩ .
(٣) أى : يلفها .

٣٠ - فضــة النوبيــة
جارية فاطمة الزهراء

فضة النوبية ، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

عن ابن عبـاس قـال في قـوله تعـالـى : ﴿ يوفـون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتـيما وأسيـرا ﴾ . قال : مرض الحسن والحـسين ، فعادهماجـدهما رسول الله ﷺ وعادهما عامـة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن ، لو نذرت على ولدك نذرا . فقـال على إن برآمما بهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيـام شكرا . وقالت فاطمة كذلك وقالت جارية يقـال لها فضة نوبية : إن برأ سـيداى صمت لله عز وجل شكرا ، فألبس الغلامان العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير . فـانطلق على إلى شمعون الخيرى فـاستقرض منه ثلاثة آسع من شعير ، فـجاء بها فوضعها ، فـقامت فاطمة إلى صاع فطحنتـه واختبـزته ، وصلى على مع رسول الله ﷺ ثم أتى المنـزل فـوضـع الطعـام بين يديه ، إذ أتـاهم مـسكين فوقف بالبـاب ، فقال : السـلام عليكم أهل بيت محمـد مسكين من أولاد المسلمين ، أطعمونى أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة ، فسمعه على ، فأمـرهم فأعطوه الطعام . ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء . فلما كان اليوم الثانى قامت فاطمة إلى صاع وخـبزته ، وصلى على مع النبـى ﷺ ووضع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم يتـيم فوقف بالباب ، وقـال : السلام عليكم أهل بيت محمـد ، يتيم بالباب من أولاد المهاجرين ، استـشهد والدى أطعمونى . فأعطوه الطعام ، فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء . فلمـا كان اليوم الثالث قـامت فاطمة إلى الصـاع الباقى

فطحنته واختبزته ، فصلى على مع النبى ﷺ ، ووضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت النبوة ، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا ، أطعمونى فانى أسير . فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء . فأتاهم رسول الله ﷺ فرأى ما بهم من الجوع فأنزل الله تعالى ﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر﴾ إلى قوله : ﴿ لا نريد منك جزاء ولا شكورا ﴾ .

٣١ - قتيلة بنت النضر

قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبدمناف بن عبد الدار بن قصى القرشية العبدرية . كانت تحت عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر ابن عبد شمس ، فولدت له عليا ، والوليد ، ومحمدا ، وأم الحكم .

قال الواقدى : هى التى قالت الأبيات الآتية فى رسول الله ﷺ لما قتل أباها النضر بن الحارث يوم بدر ، وهى [١] : ـ

يا راكبا أن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق[٢]

أبلغ بها[٣] ميتا بأن[٤] تحية ... ماإن تزال بها النجائب تعتق[٥]

منى إليه وعبرة مسفوحة ... جادت لما تحتها[٦]وأخرى تخنق

(١) الأبيات فى سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٤٢ ، وكتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى ٤ - ٢٥٥ ، والاستيعاب : ٤ ـ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، والبيان والتبيين للجاحظ : ٤ ـ ٤٣ ـ ٤٤ .

(٢) الأثيل ـ مصغراً ـ: عين ماء بين بدر ووادى الصفراء . ومظنة : موضع ايقاع الظن.

(٣) فى الكتب : (به) . المثبت عن السيرة والبيان ، والتأنيث لأنها عين ماء .

(٤) فى الكتب : (فان) . والمثبت عن سيرة ابن هشام الـ .

(٥) تعتق : تسرع . وفى المراجع المتقدمة (تخفق) وهو بمعناه .

(٦) فى المطبوعة : (لما تحتها) . والمانح : المستسقى . والكلام استعارة . وفى كتاب نسب قريش (لمانحها) وهو بمعناه

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحــــام هنــــاك تشــقق
قسرا يقاد إلى المنيـة متعبا [1] ... رسف المقيد،وهو عان موثق[2]
أمحمد ، أولست ضنء[3] نجيبة ... من قومهـا،والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق[4]
فالنضـــر أقـرب من تـركـــت ... قرابة واحقهم إن كان عتق يعتق

فلمـا بلغ رســول الله ﷺ ذلك بكى حـتى اخـضلت الدمـوع لحيتـه ، وقال : لو بلغنى شعرهــا قبل أن أقتله ما قتـلته . ذكر هذا الخبر عبد الله بن أدريس . وذكـر الزبير قال : فرق رسول الله ﷺ حــتى دمـعت عــيناه وقـــال لأبى بكر : يـا أبا بكر ، لو سمعت شعرها لم أقتل أباها .

(اخرجها أبو عمر)

وروى بعـضهم « عـتق يعتـق » بضم الياء وكـسر التـاء ، ومــعناه : إن كـان شــرف ونجـابة وكـرم نفس وأصل يعـتق صاحبه فهو أحق به .

٣٢ - معاذة جارية عبد الله بن أبى ابن سلول

روى الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن مــحمد بن نابت - أخى بنى الحـارث بن الـخـزرجى فى قـوله عـز وجل : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ قال : نزلت فى معاذة جارية عبدالله ابن أبى ابن سلول، وذلك أنه كـان عنده أسـيـر فكان عبـد الله

(١) فى المطبوعـة والمصورة : « معتـباً » بتقديم العـين . ولا يستقيم المـعنى عليه . والمثبت عن المرجع المتقدمة أ . هـ نقلا عن اسد الغابة فى معرفة الصحابة .

(٢) الرسف : المشى الثقيل . والعانى : الأسير .

(٣) فى بعض النسخ : (صنو) والمثـبت عن السيرة ، والبيان ، وكـتاب نسب قريش والضنء - بالضاد المعجمة مفتوحة او مكسورة : الولد .

(٤) المحـنق : الشديد الغـيظ ، والتعليق منقـولة من كتـاب « أسد العــابة فى معـرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير » - مطابع دار الشعب بالقاهرة .

يضربها لتمكنه من نفسها ، رجاء أن تحبل منه ، فيأخذ فى ذلك فداء . وهو العرض الذى قال الله عز وجل : ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ وكانت الجارية تأبى عليه وهى مسلمة ـ قال الزهرى : كانت مسلمة فاضلة ، فأنزل الله هذه الآية . ثم إنها عتقت[1] وبايعت النبى ﷺ بيعة النساء ، فتزوجها بعد ذلك سهل بن قرظة . أخو بنى عمرو بن عوف ، فولدت عبد الله بن سهل وأم سعيد بنت سهل . ثم هلك عنها أو فارقها فتزوجها الحمير بن عدى القارىء ، أخو بنى خطمة فولدت له توأما ، الحارث وعديا ابنى الحمير ، ثم فارقها فتزوجها عامر بن عدى رجل من بنى خطمة أيضاً ، فولدت أم حبيب بنت عامر .

قيل فى نسبها : معاذة بنت عبد الله بن حبر بن الضرير بن أمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج .

وقا ابن ماكولا : وأما الضرير ـ بضم الضاد المعجمة ، وفتح الراء ـ فمعاذة بنت عبد الله بن حبر بن الضرير بن أمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج . وذكر من أمرها ما تقدم .

أخرجها أبو عمر ، وأبو موسى . الا أن أبا عمر قال : «معاذة بنت عبد الله . وقيل : مسيكة . قال الزهرى : معاذة . وقال الأعمش ، عن أبى سفيان عن جابر اسمها مسيكة . وقال: والصحيح قول ابن شهاب ان شاء الله تعالى .

وقد روى أبو صالح ، عن ابن عباس القصة ، وسمى الجارية ، مسيكة ، فوافق الأعمش ، والله أعلم .

قلت : قول ابن شهاب فى نسبها ما ذكرناه إلى خدارة ، يدل على أن الأنصار قد كان يسبى بعضهم بعضاً فى

(١) اى : خرجت من الرق .

الجـاهليـة، فـإن بنى خـدرة وخـدارة هم من ولد الحـارث بن الخزرج، وعبد الله بن أبـى من بنى الجبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج ، فكلهم خـزرجيون ، ومع ذلك فـقد كانت مـعاذة من خدارة وهى أمه لعبد الله بن أبى ، والله أعلم .

فى أعقاب ترجمة الصحابيات

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. لقد كان الصـحابة والصحابيات نـماذج مضيئـة ومعالم للحق والهدى ، وقد مدحهم القرآن بقوله الخالد :

﴿ محمـد رسول الله والذين معه أشداء على الكفـار رحماء بينهم تراهم ركـعا سـجـدا يبتـغون فـضلا من الله ورضـوانا سيماهم فى وجوههم من أثر الـسجود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومـثلهم فى الانجـيل كـزرع أخـرج شطأه فـآزره فاسـتـغلظ فاستـوى على سوقه يعجب الزراع ليغـيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾
(الفتح : ٢٩)






خاتمــــة

فى ختـام الحديث اتوجـه إلى الفتـاة المسلمـة أدعوها إلى الأمور الآتية :

١ - حـافظى على الصـلاة والوضوء والطهـارة الحـسيـة والمعنوية ، لتكونى قـريبة من الله ، قريبة من الجنة بـعيدة من النار .

٢ - التزمى بآداب الإسلام فى العبادات والمعاملات ، وثقى أن ذلك يزيدك جمالاً ، ويرفع رصيدك عند الله وعند الناس .

٣ - احذرى الفتاة المـاجنة المستهترة ، واختـارى رفيقتك بعناية ، لأن الجليس الصالح كالمسك رائحته طيبة .

والجليس السوء مثل كير الحداد يتطاير منه الشرر .

٤ - حافظى على الفـرائض ، مثل صيام رمـضان ، وغض البصر ، والاستقامة ، والبـعد عن المحرّمات ، فالنبى ﷺ يقول : « يا معشر الناس : اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة .

اصدقـوا إذا حدثتم ، واوفوا إذا عـاهدتم ، وادوا الامانة إذا اؤتمنتم ، وغُـضُّـوا أبصـاركم ، واحفـظوا فروجكم ، وكـفـوا أيديكم » .

٥ - اقتـربى من والديك ، ومن اخوتك ، واسـتعـدّى لطاعة

زوجك بعد الزواج ، والتعاون معه على البر والتقوى ، وثقى أن الحبَّ عطاء وتضحية وكفاح وعمل وأمل ، وبذلك تساهمين فى بناء بيت مـــسلم ، يعـتـز به الاســـلام ، ويرضى عنه الله رب العالمين ..

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..

الفهـــرس

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع ١٦٦٦ / ٩٨

الترقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 08 - 0704 - 4